كتب المعرّب مستأذناً المؤلف بنقل مسرحيته الى العربية، فكان مما قاله:

« ان مسرحيتك « العادلون » لم تكتب لكم انتم الفرنسيين فحسب ، بل كتبت للجميع ، وخاصة لنا نحن العرب . ولئن كان القارىء الفرنسي يعجب بها ويتأملها ويتعمقهـــا ، فان العربي الاشتراكي الثوري ، يعيش آلامها كل يوم... والحق اننا نحن ابناء العروبة ، نعاني الآن الفترة الحاسمة من تاريخنا الحديث ،فترة البعث الحقيقي...

... فاسمح لي يا سيدي ، ان انقل الى العربية هذه المسرحية، التي تلامس من قريب جميع مشاكلنـــا ، فردية كانت ام اجتماعية ... »

وقد أذن الأديب الفرنسي الكبير، للمعرّب بنقل المسرحية ، وكان ابرز ما جاء في جوابه :

« ... سوف اكون سعيداً حقاً، اذا استطاعت مسرحيتي « العادلون »، ان تبلغ العالم العربي ، الذي ولدت فيه ، العواطف التي تربطني به في عالم الحرية ... »

★

البير كامو Albert Camus

ولد كامو في ٧ تشرين الثاني ١٩١٣ في مدينة موندوفي بالجزائر . وكانت اسرته من الطبقـــة العاملة . وقد ابدى منذ حداثة سنه ، اجتهاداً عجيباً ، فأعطي منحاً مالية اتاحت له ان يتابع دراسته الثانوية والعليا . ومن اجل ان يكسب البير كامو حياته ، امتهن كثيراً من المهن . فكان بائع لوازم سيارات ، وخبيراً بالاحوال الجوية ، وموظفاً في الشرطة في الوقت نفسه الذي كان يمارس فيه الرياضة ، الى ان حصل عـــلى ليسانس الآداب ، ودبلوم الدراسات العليا . على ان كامو اظهر ميلاً شديداً الى المسرح ، فأسس فرقة مسرحية ، مثلت كثيراً من الروائع، وكان بينها «الاخوة كرامازوف» التي مثل فيها كامو نفسه دور ايفان .

ثم مارس الكاتب الفرنسي الصحـــافة في الجزائر وفي باريس قبيل الحرب الثانية . وبعد تحرير فرنسا ، كان رئيساً لتحرير جريـــدة « كومبا » لسان حال حركة المقاومة الفرنسية التي كان منتمياً اليها اثناء الاحتلال الالماني . وقد الف عـــام ١٩٤١ رواية اثارت اهتمام الاوساط الادبية في العالم كله، هي رواية «الغريب» L'Etranger تبعتها دراسة فلسفية بعنوان «خرافة سيزيف » Le Mythe de Sisyphe ثم ظهرت له عام ١٩٤٣ مسرحيتا «سوء تفاهم» Le Malentendu ، وكاليجـــولا Caligula . وعام ١٩٤٧ نشر كامو روايته «الطاعون » La Peste فكانت حدثاً هاماً كرس نهائياً الكاتب الشاب ، اديباً عالمياً وزعيماً غير منازع للجيل الجديد من ادباء فرنسا .

اما « العادلون » « Les Justes » التي نقدمها اليوم ، فقد احرجت على المسرح للمرة الاولى عام ١٩٤٩ بباريس . وتعد ابلغ شاهد على نزعة المؤلف الالتزامية في الادب .

هذا وقد قدم كامو لمسرحيته بما يلي — « في شباط عام ١٩٠٥ ، نظم جماعة في موسكو، ينتمون الى الحزب الاشتراكي الثوري مؤامرة للقضاء على الدوق الكبير سيرج، عم القيصر . وهذه المؤامرة وما لابسها من ظروف تؤلف موضوع «العادلون» . وبالرغم من غرابة بعض مواقف المسرحية وبعدها عن المألوف ، فانها لا تعدو ان تكون تاريخية . لقد وجد جميع اشخاصها حقاً ، وتصرفوا كما صورتهم في مسرحيتي . وانما حاولت ان اجعل امراً محتمل الوقوع ، ما كان حقيقياً بالفعل . وقد احتفظت باسم كالياييف على حقيقته، لا بدافع من قصور الخيال، وانما احتراماً واعجاباً برجال ونساء لم يستطيعوا في اقسى مهاتهم ان يشفوا من ضعف قلبهم الانساني . ولا ريب ان تقدماً كبيراً قد احرز منذ ذلك، واصبح الحقد الذي كانت هذه النفوس الفريدة ترزح تحته كأنما هو عذاب لا يحتمل، مذهباً مأنوساً ومريحاً . فأحرى بنا اذن ، ان نستعيد ذكرى هذه الاطياف العظام، وتمردهم العادل ، واحاسهم العسير، والجهود غير المحدودة التي بذلوها ليسجموا مع الجريمة — وهكذا ندرك اين من ذلك اخلاصنا . »

اشخاص المسرحية

دورا دولبوت
الدوقة الكبيرة
إيفان كالياييف
الملقب : بـ « يانك »
ستيبان فيدوروف
بوريس أننكوف
الملقب : بـ « بوريا »
ألكسي فوانوف
سكوراتوف
فوكا
الحارس

الفصل الأول

منزل الارهابيين صباحاً .

(يرفع الستار في السكون ، أننكوف ودورا جامدان على خشبة المسرح . يطرق الباب طرقاً خاصاً ، مرة واحدة . تحاول دورا الكلام فيوقفها أننكوف باشارة منه . يسمع الطرق مرتين ، دقة إثر دقة) .

اننكوف : ها هو (يخرج . تظل دورا جامدة تنتظر . يعود أننكوف مع ستيبان ممسكا بكتفيه) : ها هو ! هوذا ستيبان .

دورا (تتجه نحو ستيبان وتمسك بيده) : ستيبان ! يا للسعادة !

ستيبان – صباح الخير يا دورا .

دورا (تتأمله) – سنوات ثلاث تنصرم .

ستيبان – نعم ، سنوات ثلاث ، كدت ألحق بكم ، يوم اوقفوني .

دورا – لقد كنا في انتظارك والزمن يمضي وقلبي يزداد انقباضاً حتى بتنا لا نجرؤ على ان نتبادل النظر .

اننكوف – اضطررنا الى تغيير المنزل مرة اخرى .

ستيبان – أعلم ذلك .

دورا – وهنالك يا ستيبان ؟

ستيبان – هنالك ؟

دورا – المعتقل !

ستيبان – من الممكن الافلات منه .

اننكوف – اجل ، لقد سررنا عندما علمنا انك استطعت بلوغ سويسرا .

ستيبان – ولكن سويسرا معتقل آخر يا بوريا (*)

اننكوف – ماذا تقول ؟ انهم احرار هناك على الاقل .

ستيبان – ان الحرية لمعتقل ، ما دام ثمة انسان واحد مستعبداً في الارض . كنت حراً ولم اكف عن التفكير بروسيا وعبيدها .

(يخيم الصمت)

اننكوف – اني سعيد يا ستيبان بان يوفدك الحزب الينا .

ستيبان – كان لا بد من ذلك ، كنت اختنق . ها قد حان اخيراً وقت العمل ، العمل ... (ينظر الى اننكوف) سنقتله ؟ أليس كذلك ؟

اننكوف – بكل تأكيد .

ستيبان – سنقتل هذا السفاح . انت الزعيم يا بوريا وسأطيعك .

اننكوف – انني غني عن وعدك . كلنا هنا اخوة .

ستيبان – لا بد من التنظيم ، لقد ادركت ذلك في المعتقل . ان الحزب الاشتراكي الثوري يحتاج الى تنظيم . سنقضي على الدوق الكبير وسنصرع الطغيان اذا كنا منظمين .

دورا (تمشي نحوه) – اجلس يا ستيبان ، لا بد انك تعب بعد هذه الرحلة الطويلة .

ستيبان – لست ابداً تعباً . (صمت . تذهب دورا لتجلس)

ستيبان – هل كل شيء جاهز يا بوريا ؟

اننكوف (مغيراً نبرة صوته) – منذ شهر ، واثنان من جماعتنا يراقبان تنقلات الدوق الكبير . وقد جمعت دورا الادوات اللازمة .

ستيبان – وهل اعد البيان ؟

(*) بوريا : لقب اننكوف .

اننكوف – اجل . ستعلم روسيا كلها ان الدوق الكبير سيرجع قد اعدم بقنبلة فرقة الفدائيين التابعة للحزب الاشتراكي الثوري حتى تعجل بتحرير الشعب الروسي . وسيعلم البلاط الامبراطوري ايضاً باننا عزمنا على ممارسة الارهاب حتى تعاد الارض الى الشعب . اجل ، اجل ، كل شيء مهيأ يا ستيبان ! لقد ازفت الساعة .

ستيبان – ما يتوجب علي ان اعمل ؟

اننكوف – اما الآن فستحل محل شويتزر الذي كان يعمل مع دورا .

ستيبان – وهل قتل شويتزر ؟

اننكوف – اجل .

ستيبان – وكيف ؟

دورا – من جراء حادث (ينظر ستيبان الى دورا ، فتغض الطرف .

ستيبان – وبعد ذلك .

اننكوف – سنرى فيما بعد . عليك ان تستعد لأن تحل مكاننا في الوقت المناسب ، ولتبقي على الاتصال بيننا وبين اللجنة المركزية .

ستيبان – من هم رفاقنا ؟

اننكوف – لقد اجتمعت بفوانوف في سويسرا . وانا واثق منه رغم حداثة سنه . الا انك لا تعرف يانك .

ستيبان – يانك ؟

اننكوف – كالياييف (*) . ونحن ندعوه بالشاعر ايضاً .

ستيبان – ليس هذا لقباً لارهابي .

اننكوف (ضاحكا) – اما يانك فيعتقد العكس ، فهو يرى ان الشعر ثوري .

ستيبان – لا ثوري الا القنابل (فترة صمت) اتعتقدين يا دورا باني قادر على مساعدتك ؟

دورا – ولم لا ؟ حذار فقط من كسر الانبوب

(*) كالياييف : اسم يانك الاصلي .

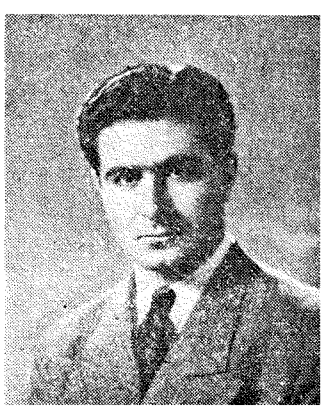

إهداء إلى الفدائيين العرب في كل مكان "المعرب"

ستيبان – واذا كسر ؟

دورا – هكذا قضى شويتزر (برهة) لماذا تبتسم يا ستيبان ؟ .

ستيبان – انا ابتسم ؟

دورا – أجل .

ستيبان – هذا ما يتفق لي احياناً . (تمر برهة يبدو فيها ستيبان مفكراً) هل تكفي قذيفة واحدة لنسف هذا البيت يا دورا ؟

دورا – قنبلة واحدة لا تكفي ، غير انها تنزل به اضراراً .

ستيبان – واذا اردنا نسف موسكو باجمعها، فكم قنبلة نحتاج ؟

اننكوف – هل جننت ؟ وما الذي تقصده ؟

ستيبان – لا شيء .

(يقرع الباب مرة واحدة ، فيصيخون السمع منتظرين . ثم يقرع مرتين متتاليتين ، فيخرج اننكوف الى الدهليز ويعود بصحبة فوانوف *)

فوانوف – هذا انت يا ستيبان ؟

ستيبان – عم صباحاً يا فوانوف .

(يتصافحان . يذهب فوانوف الى دورا ويعانقها)

اننكوف – هل تم كل شيء على ما يرام يا الكسي ؟

فوانوف – أجل .

اننكوف – هل درست المسافة بين القصر والمسرح ؟

فوانوف – بل استطيع ان ارسمها في الحال. انظر (يرسم) منعطفات ، طرق ضيقة، انقاض... وستمر العربة تحت نوافذنا .

اننكوف – وماذا تعني بهذين الصليبين ؟

فوانوف – ميدان صغير تخب فيه الخيول ، والمسرح الذي تقف عنده العربة . انها في رأيي افضل الامكنة .

اننكوف – اعطنيها !

ستيبان – والمخبرون والعيون ؟

فوانوف – (مترددا) انهم كثيرون .

ستيبان – وهل يؤثرون فيك ؟

فوانوف – انهم لا يعثون على الارتياح .

اننكوف – لا تقلق، فما من احد يرتاح لهم.

فوانوف – انا لا أخشى شيئاً ، بل كل ما في الامر اني لم اعتد الكذب .

ستيبان – ان الجميع يكذبون ، وإنما نحن بحاجة الى ان نحترف الكذب !

فوانوف – ليس هذا بالامر اليسير . فعندما كنت طالباً، كان رفاقي يسخرون مني لأني لم اكن اعرف المداهنة والرياء . لقد كنت اقول ما اعتقد ، وقد انتهى بي الامر الى طردي من الجامعة .

ستيبان – ولم ؟

فوانوف – سألني الاستاذ في اثناء درس من دروس التاريخ كيف شيد بطرس الاكبر بتروغراد .

ستيبان – ونعم السؤال !

فوانوف – بل نعم الجواب ! فلقد اجبته ، إنما شيدها بالدم والسوط ! فكان ان طردوني .

ستيبان – وبعدها ؟..

فوانوف – تيقنت من انه لا يكفي ان نفضح الظلم، بل لا بد من ان نهب حياتنا لمحاربته. واليوم اراني جد سعيد .

ستيبان – ومع ذلك فأنت تكذب ؟

فوانوف – قد أكذب ، غير اني لن اكذب البتة يوم ألقي القنبلة .

(يقرع الباب: دقتان ثم دقة ، تهب دورا.)

اننكوف – انه يانك .

ستيبان – ليست هذه بالاشارة المصطلح عليها.

اننكوف – لقد قصد يانك الى الدعابة بتغييرها ، فله اشارته الخاصة .

(يهز ستيبان كتفيه . تسمع دورا وهي تتكلم في الدهليز ، ثم تدخل بصحبة كالياييف وهما متشابكا الذراعين . كالياييف يضحك .)

دورا – يانك ، هوذا ستيبان الذي جاء يخلف شويتزر .

كالياييف – اهلاً وسهلاً ايها الاخ .

ستيبان – شكراً .

(يجلس كالياييف ودورا قبالة الآخرين .)

اننكوف – هل انت متأكد يا يانك من العربة ؟

كالياييف – أجل ، لقد رأيتها مرتين متأنياً. فلتظهر بالافق وسأعرفها ولو كانت بين الف ! لقد سجلت جميع دقائقها بالتفصيل ، فأن مصباحها اليساري مثلاً فيه صدع .

فوانوف – والعيون والمخبرون ؟

كالياييف – امواجهم لا تنفد ، غير اننا اصدقاء وهم يشترون مني سجاير . (يضحك .)

اننكوف – هل أكد « بافل » المعلومات ؟

كالياييف – سيذهب الدوق الكبير في هذا الاسبوع الى المسرح ، وسيستوثق بافل بعد برهة وجيزة من يوم خروجه بالذات ، وعندها ينقل الخبر اليقين الى البواب . (يلتفت نحو دورا ويضحك .) حظنا كبير يا دورا .

دورا – (تنظر اليه.) لقد بعد عهدك ببيع السلع وذرع الشوارع منادياً ، أليس كذلك ؟ ها قد اصبحت سيداً كبيراً . ما اجملك ! ألست متأسفاً على فروتك ؟

كالياييف – (يضحك .) بلى ، لقد كنت فخوراً بها حقاً. (يلتفت نحو ستيبان واننكوف) لقد أمضيت شهرين وأنا أراقب بائعي السلع ، واكثر من شهور وانا أتمرن وحيداً في غرفتي الصغيرة . ولم تخامر زملائي الشكوك في ، إذ كانوا يقولون : « إنه وافر الهمة بادي النشاط، بل ان في استطاعته ان يبيع حتى خيول القيصر » وكانوا بدورهم يحاولون محاكاتي .

دورا – وطبعاً كان هذا يضحكك .

كالياييف – إنك تعلمين جيداً ان ليس باستطاعتي الامتناع عن الضحك ، فهذه الحياة المتنكرة ، وهذا الطراز من العيش الجديد .. جميعها كانت تلهيني وتسايني .

دورا – أما انا فلا احب التنكر والتخفي (تشير الى ثوبها البالي) وهذه الخرق الانيقة ! كان بمقدور بوريا ان يجد لي غيرها ، هل انا ممثلة ؟ ان قلبي لبسيط .

كالياييف – (يضحك) ما اجملك في ثوبك هذا !

دورا – جميلة ! كم اكون سعيدة ، لو انني جميلة حقاً ، ولكن علينا ان لا نفكر في امر الجمال .

كالياييف – ولم لا ؟ ان لفي عينيك كآبة دائمة ، بدلاً من ان تكوني فرحة مرحة ؛ فالعزة والفخار يجب ان يملأ قلبك ، ما دام الجمال موجوداً، والفرح يملأ الدنيا «في الامكنة الهادئة حيث كان قلبي يتمناك ... »

دورا – (مبتسمة) « تنسمت صيفاً ابديا...»

كالياييف – إي دورا ! لا زلت تذكرين هذه الابيات ؟ أتبتسمين ؟ ما أسعدني ...

ستيبان (يقاطعه) إنا نهدر وقتنا . أعتقد ان من الواجب ان نخبر البواب، أليس كذلك ؟

(ينظر اليه كالياييف عجباً .)

اننكوف – أرجو ان تنزلي يا دورا وتخبري البواب . اياك وان تنسي المكافأة وسيساعدك فوانوف على جمع المواد في الغرفة وتركيبها

(يخرج كل من جهة ويسير ستيبان نحو اننكوف بخطى ثابتة)

ستيبان – اريد ان اقذف انا القنبلة .

اننكوف – لا يا ستيبان ، فقد سبق لنا وعينا القاذفين .

ستيبان – ارجوك يا بوريا ، فأنت تعرف ما

يعني ذلك بالنسبة الي .

اننكوف – قلت لك ان تقذفها ! فالنظام هو النظام . وأنا ايضاً لن اقذفها وسأنتظر هنا . ان نظامنا لقاس يا ستيبان .

ستيبان – ومن سيقذف القنبلة الاولى ؟

كالياييف – أنا . وسيقذف فوانوف الثانية

ستيبان – انت ؟

كالياييف – أتعجب من ذلك ؟ فلست اذن واثقاً مني !

ستيبان – لا بد من ممارسة القذف اولاً .

كالياييف – مـــن ممارسة القذف ؟! انك لتعرف جيداً انه لا يمكن قذفها الا مرة واحدة، ثم ... لم يسبق لأحد ان قذفهـــا مرتين قط في حياته .

ستيبان – لا بد من يد حازمة وصائبة .

كالياييف – (ماداً يده) انظر اليها. أتعتقد بأنها ستضطرب ؟ (يشيح ستيبان بوجهه) انها لن ترتعش ابداً . ماذا اقول ؟ أيكون الطاغية امامي واتردد ؟ كيف لك ان تشـــك بذلك ؟ حتى ولو ان يدي ارتعشت ، فلن اعدم وسيلة اقضي بها على الدوق الكبير بالتأكيد .

اننكوف – وما هي ؟

كالياييف – ان ارمي بنفسي تحت سنابك الخيل .

(يهز ستيبان كتفيه ويذهب ليجلس بعيداً)

اننكوف – ليست هذه الاعمال ضرورية ، فان المنظمة بحاجة اليك، وعليك ان تصون نفسك.

كالياييف – سأطيعك يا بوريا ! يا له من شرف عظيم ! أي شرف هذا الذي سأكون به خليقاً !

اننكوف – ستكون انت في الشـــارع يا ستيبان ، في حين يرصد يانك العربة والكسي يراقبها . عليك ان تمر بانتظام امام نوافذنا ، وسنصطلح عـــلى اشارة ما . واما دورا وانا فسنرقب هنا اللحظة التي فيها يعلو النداء، فان كان لنا بعض الحظ ، فسنقضي على الدوق الكبير .

كالياييف – (بحماسة ظـــاهرة) : أجل سأقضي عليه ! يا لسعادتي ان نجحت في القضاء عليه ! ليس الدوق الكبير شيئاً مهما . لا بد من تحطيم الرؤوس العليا !

اننكوف – فلنبدأ بالدوق الكبير وبعـــد ذلك ...

كالياييف – إي بوريا ، وان فشلنا ، فلا بد من محاكاة اليابانيين .

اننكوف – افصح ، ماذا تريد ان تقول ؟

كالياييف – ان اليابانيين، ما كانوا يستسلمون اثناء الحرب ، بل كانوا ينتحرون .

اننكوف – لا ، لا تفكر بالانتحار .

كالياييف – لم إذن ؟

اننكوف – بالارهاب من جديد

ستيبان – (يتكلم من صدر القاعة) يجب ان يحـــب الانسان نفسه كثيراً ، حتى يرضى بالانتحار ملاذاً ، اما الثوري ، الثوري الحقيقي فلا يستطيع ان يحب نفسه ابداً .

كالياييف (ملتفتاً بحدة) : الثوري الحقيقي؟ أي سوء قمت به حتى تعاملني هذه المعاملة ؟

ستيبان – اني لا احب الذين ينخرطون في الثورة لأنهم سئموا حياتهم الرتيبة .

اننكوف – ستيبان !

ستيبان – (يقف ويتجه نحوهما) : أجل ، اني فظ شرس. غير اني لا ارضى ان يتخذ الحقد وسيلة للهو والعبث . لم نجتمع هنا لنتبادل الاعجاب والمديح ، وانما نحن هنا للنجاح في مهمتنا .

كالياييف – (بتؤدة) : لم تعيرني وتهينني ؟ ومن ذا الذي حدثك عن سأمي ؟

ستيبان – لا ادري ، فأنت تغير الاشارات المتفق عليها ؛ وانت تحب تمثيل بائع السلع ؛ بل انت تنشد الشعر وتريد ان ترمي بنفسك تحت سنابك الخيل ؛ واخيراً تحاضر عن الانتحار ... (ينظر اليه .) انني لست واثقاً منك .

كالياييف – (متمالكاً نفسه) : انك لا تعرفني يا اخي . فأنا احب الحياة ؛ وانا لست ضجراً ، وإنما دخلت الثورة لأنني احب الحياة .

ستيبان – اما انا فلا احب الحياة ، بل العدل الذي هو فوق الحياة

كالياييف – (بجهد ظاهر) : كل يخدم العدل حسب استطاعته ، وعليك ان تقبل بان نكون متمايزين مختلفين ؛ علينا ان نتحاب ، ان كان ذلك في مقدورنا .

ستيبان – لسنا بقادرين على الحب

كالياييف – (منفجراً) : وما الذي تفعله بيننا اذن ؟

ستيبان – انا بينكم لأقضي على رجل . انا لست هنا لأحبه واجله واشيد باختلافه عني .

كالياييف – (بحدة بالغة) : لن تقضي عليه بفردك ، ولا باسم لا شيء ، ستقضي عليه معنـــا وباسم الشعب الروسي ، وهذا هو تبريرك !

ستيبان – (دون ان يغير لهجته) : لست بحاجة الى هذا التبرير، فلقد بررت في ليلة واحدة والى الابد مند ثلاثة اعوام في المعتقل . ولن اتحمل ان ...

اننكوف – كفى ! هل انتم مجـــانين ؟ أتذكرون من نحن ؟ إنما نحن اخوة ، اندمجنا واتحدنا واتممنا صفاً واحداً للقضاء على الطغـــاة وتحرير البلاد ! فان قتلنا ، قتلنا معاً ، وما من شيء يستطيع ان يفرق بيننا . (صمت . ينظر اليهم .) تعـــال يا ستيبان ولنصطلح عـــلى الاشارات... (يخرج ستيبان) (لكالياييف) اما انت فلا بأس عليك . لقد تألم ستيبان كثيراً وسأحدثه ...

كالياييف (شديد الشحوب) : لقد اهانني يا بوريا .

(تدخل دورا)

دورا – (تلحظ كالياييف) : ماذا دهاكم؟

اننكوف – لا شيء

(يخرج اننكوف)

دورا – (لكالياييف) : قل ماذا دهاك ؟

كالياييف – ما ان تعارفنا حتى اصطدمنا ، فهو لا يحبني .

(تذهب دورا وتجلس صامتة ، برهة)

دورا – اراه لا يحب احـــداً . سيصبح سعيداً بلا شك عندما ننتهي من مهمتنا، فلا تحزن.

كالياييف – بل انا حزين ، وانا احتاج الى محبتكم جميعاً . لقد تخليت عن كل شيء لأجل هذه المنظمة ، فكيف لي أن احتمل صدود اخوتي عني ؟ ثمر بي فترات اعتقد خلالها انهم لا يفهمونني، أهي خطيئتي ؟ انا اعرف اني مرتبك ويعسر علي بلوغ هدفي ، اعرف ذلك ...

دورا – كلهم يحبونك ويفهمونك ، ولكن ستيبان يختلف عنهم .

كالياييف – نعم ، اعرف ما الذي يفكر به ستيبان ، فقد كان شويتزر يقول ذلك من قبل : « لقد بالغ في الغرابة حتى بعد عن صفـــات الثوري . » بودي لو افهمهم انني لست غريباً ولا خارقاً للعادة ، انهم يجدون في مساً من جنون، ويرونني كثير العفوية، مع انني اعتقد مثلهم بالمبدأ، وعلى غرارهم اريد ان اضحي بنفسي . وانا ايضاً استطيع ان اكون ماهراً ، صموتاً ، مدارياً ، ناجماً ! ولكن الحياة ما انفكت تظهر لي آية في الروعة والجمال . احب السعادة ، احب الجمال ! من اجل هذا احقد على الطغيان ، كيف افسر لهم ذلك ؟ الثورة ؟ بكل تأكيد، ولكن الثورة من اجل الحياة ، من اجل اعطاء الحيـــاة حظاً ونصيباً بل ملاذاً اخيراً ... اتفهمين ؟

دورا – (باندفاع) : أجل ... (بعد برهة من الصمت ، بصوت حانت) ومع ذلك ترانا سنثير الموت ذات اليمين وذات الشمال .

كالياييف – من نحن ... ؟ آه ، تريدين ان تقولي ... كلا ليس الامر سواء آه ، لا ، لا ،

ليس الامر سواء. ثم اننا نقتل لنبني عالماً لن يقتل فيه انسان بعد على الاطلاق ! نحن نرضى بان نكون مجرمين ، كيما نملىء الارض بالابرياء

دورا – وان لم يتحقق ذلك ؟

كاليابيف – دعك من هـذا الكلام، فأنت تعلمين تماماً ان ذلك لا بد من تحققه، وإلا فسيكون ستيبان على حق آنذاك ، وعندها لا بد من ان نبصق في وجه الجمال

دورا – انا اقدم منك عهداً في المنظمة، واعلم ان ليس هناك من امر سهل، غير ان لديك الايمان ونحن جميعاً بحاجة الى هذا الايمان

كاليابيف – الايمان ؟ لا ، لا ! لم يعرفه الا واحد على الأرض

دورا – بل لك من قوة روحك ما يدفعك الى اقصاء كل عسير لتبلغ غاياتك القصوى وإلا ، قل لي بربك ، لم طلبت القاء القنبلة الاولى ؟

كاليابيف – أمن الممكن ان نتكلم عن العمل الارهابي دون ان نسهم فيه بالفعل ؟

دورا – لا

كاليابيف – إذن ، لا بد من ان نكون في الطليعة .

دورا (تبدو عليها علائم التفكير) – اجل هناك الطليعة ، وهناك اللحظة الاخيرة ، وعلينا ان نبحث جميع هذه الامور . فهنا تكمن الشجاعة بل الحماس الملهب الذي نحتاج اليه ... الذي تحتاج انت اليه .

كاليابيف – تأكدي تماماً يا دورا بأنني منذ عام وانا لا افكر بشيء غير هذا ، فانما عشت حتى الآن من اجل هذه اللحظة الاخيرة واعلم الآن، انني ارغب في الهلاك هناك، الى جانب الدوق الكبير. ان لي امنية وحيدة: ان أهرق دمي حتى آخر نقطة، او احترق دفعة واحدة في لهيب الانفجار ، والا اخلف ورائي شيئاً على الاطلاق . اتفهمين الآن لم طلبت القذيفة ؟ ان الموت في سبيل الفكرة ، ان هو الا الطريقة الوحيدة للسمو الى صعيد الفكرة ، ان هو الا تبريرنا الوحيد !

دورا – وانا كذلك ارغب في موت كهذا

كاليابيف – اجل ، انها لسعادة ترتجى . اي دورا ، انني اتقلب احياناً على فراشي القش ، فراش بائع السلع ، فتقض مضجعي فكرة : لقد جعلوا منا مجرمين . ولكنني افكر في الوقت نفسه بأنني سأموت ، فيهدأ قلبي آنذاك ، وعندها اضحك ، وانام ملء جفوني كالطفل الصغير .

دورا – اي يانك ، ونعم المصير ، القتل ثم الموت فور آشيء جميل. ولكن هناك في رأيي سعادة اعظم (ينظر كاليابيف اليها برهة فتغضي ببصرها) : المشنقة .

> **« إن الموت في سبيل الفكرة إن هو إلا الطريقة الوحيدة للسمو الى صعيد الفكرة ، إن هو إلا تبريرنا الوحيد . »**
>
> **البير كامو**

كاليابيف (بحماس ظاهر) – لقد فكرت في ذلك . ان الموت في اثناء الاغتيال يترك شيئاً غير ناجز . وعلى العكس من ذلك، فان بين الاغتيال والمشنقة دهراً بكامله، لعله خلود الانسان الاوحد.

دورا (بصوت ملح ، آخذة بيديه) – انها الفكرة التي لا بد وان تعينك في محنتك . فنحن ندفع اكثر مما نحن مدينون به .

كاليابيف – وما تقصدين من ذلك ؟

دورا – اننا مجبرون على القتل، أليس كذلك؟ وهكذا نرتضي ان نضحي بحياة ، وحياة واحدة فحسب .

كاليابيف – نعم .

دورا – وأما ان نعمد الى الاغتيال ونمشي بعدها الى المشنقة ، فهذا يعني اننا نهب حياتنا مرتين : إنا ندفع اكثر مما نحن مدينون به .

كاليابيف – أجل ، هذا يعني بذل الحياة مرتين . شكراً لك يا دورا . وهكذا ليس لأحد ان يلومنا على امر ما . لقد وثقت الان من نفسي . (صمت .) ما بك يا دورا لا تنبسين بحرف ؟

دورا – بودي لو اساعدك ايضاً، إلا اني...

كاليابيف – إلا انك ؟

دورا – لا ، انا مجنونة ...

كاليابيف – أتخترسين مني ؟

دورا – لا يا حبيبي ، انما احترس من نفسي بالذات . فمنذ ان قضى شويتزر تعصف برأسي افكار على غاية من الغرابة . وبعد فليست مهمتي انا ان ادلك على صعاب الامور .

كاليابيف – بل احب صعاب الامور. تكلمي، ان كنت مكرماً لديك .

دورا (تنظر اليه .) – أعرفك ، اعرف انك شجاع ، وهذا ما يقلقني . انك لتضحك وتلتهب حماساً ؛ بل انك لتعدو نحو التضحية وانت مفعم بالحمية . ولكن ، لا بد من الخروج من هذا الحلم بعد ساعات قلائل ، ولا بد عندها من العمل . ولكن قد يكون من الخير ان نستبق الحديث عن هذه الامور ... لنتجنب المفاجئات والخور ...

كاليابيف – لن تخور قواي . افصحي ، افصحي عما تريدين .

دورا – التآمر ، الارهاب ، المشنقة ، الموت مرتين ، كلها امور في غاية السهولة. وان قلبك الكبير لينسع لها ولكن الصفوف الامامية ... (تسكت فجأة وتنظر اليه ، وهي تبدو مترددة.) لا بد ان تراه في الصفوف الامامية ...

كاليابيف – من ذا الذي سأرى ؟

دورا – الدوق الكبير .

كاليابيف – لحظة على الاكثر .

دورا – اجل ، يانك ، انها لحظة قصيرة تراه فيها ! اوه يانك ! لا بد ان تعرف ، ولا بد لي من تحذيرك ! ان الانسان هو الانسان... وقد يكون للدوق الكبير عينان عطوفان ... ستراه يحك اذنه ، او يبتسم جذلاً طروباً . ومن يدري ؟ فقد يكون في وجهه آثار جرح من موسى حلاقة ... واذا ما نظر اليك في تلك اللحظة ؟

كاليابيف – ليس هو الذي اقتل ، وانما اقتل الطغيان .

دورا – بكل تأكيد ، بكل تأكيد ، يجب يقضى على الطغيان . سوف اهيء القديفة ، واذ اختم الانبوب، في احرج اللحظات، عندما تتوتر الاعصاب ، لن يصعب على قلبي مع ذلك ان يستشعر سعادة غريبة . على اني لا اعرف الدوق الكبير. ولو انه كان في ذلك الوقت جالساً امامي ، لكان الامر أصعب من ذلك . اما انت فستراه يا يانك ، ستراه عن كثب ...

كاليابيف – لن اراه ...

دورا – وكيف ذلك؟ وهل ستغمض عينيك؟

كاليابيف – لا ، ولكن بعون الله ، سيمتلىء قلبي حقداً في اللحظة المناسبة ، فيعميني

(يقرع الباب دقة واحدة فيتسمران .. يدخل فوانوف وستيبان . تسمع اصوات في الدهليز .. يدخل انتكوف .)

انتكوف – هوذا البواب . سيذهب الدوق الكبير غداً الى المسرح بالتأكيد . (ينظر اليهم جميعاً .) عليك ان تكوني مستعدة يا دورا .

دورا (بصوت اصم) – أجل. (تخرج متثاقلة)

كاليابيف (ينظر اليها وهي خارجة .. يلتفت نحو ستيبان وبصوت عذب) – سأقفي عليه ، بفرح !

– ستار –

الفصل الثاني

مساء اليوم التالي . المكان نفسه

(يظهر انكوف مطلاً من النافذة ودورا واقفة قرب الطاولة .)

انكوف – انهم في اماكنهم. ها هو ستيبان يشعل لفافة التبغ .

دورا – ومتى سيمر الدوق الكبير ؟

انكوف – بين لحظة واخرى . انصتي ، يخيل الي انها عربة الدوق ، كلا .

دورا – اجلس وكن صبوراً .

انكوف – والقنابل ؟

دورا – قلت لك اجلس ، فلا يمكننا ان نفعل بعد الان شيئاً .

انكوف – بلى ، ان نغبطهم .

دورا – إنما مكانك هنا بيننا ؛ انك الزعيم يا بوريا .

انكوف – انني الزعيم ، الا ان يانك يفضلني كثيراً ، وهو الذي قد ...

دورا – بل نحن معرضون جميعاً للخطر ، سواء من يلقي القنبلة او لا يلقيها .

انكوف – الخطر آخر الامر هو نفسه . غير ان يانك وألكسي همـا الآن في خطوط النار . واعرف ان من واجبي ألا اكون معهما. ومع ذلك ، فاني اخشى احيانا ان ارتضي دوري بسهولة مبالغ فيها . وبعد فان من اليسير ان يجبر المرء على الا يقذف القنبلة .

دورا – وكيف ذلك ؟ ان المهم هو ان تقوم بواجبك وان تمضي فيه حتى النهاية .

انكوف – ما اشد هدوءك !

دورا – ما انا بهادئة ، بل خائفة ؛ ها قد مضى علي ثلاث سنوات وانا اعمل معكم ، وسنتان وانا اعد القنابل . لقد أنفذت كل شيء ، واعتقد انني لم انس شيئاً .

انكوف – بكل تأكيد يا دورا .

دورا – وها أنذا منذ ثلاث سنوات خائفة، هذا الضرب من الخوف الذي لا يكاد يتركك قبيل النوم ، حتى يلقاك عند الصباح طرياً نضيراً. فقد كان علي اذن ان اعتاده . لقد تعلمت ان اكون هادئة الاعصاب ، اذ يسيطر علي الخوف اشد السيطرة . ولا شيء في ذلك يدعو حقـاً للفخر .

انكوف – بل كوني فخوراً حقاً . اما انا فلم اسيطر على شيء في نفسي اطلاقاً . اتعلمين يا دورا انني آسف على الايام الخوالي ، والحياة الخلابة والنساء ؟ اجـل كنت احب النساء ، والخمرة، وتلك الليالي التي لم يكن لها من آخر.

دورا – لقد حزرت ذلك يابوريـا ، ولذا تراني احبك هذا الحب ، فقلبك لم يمت ، وهو ان تاق الى المتعة فذلك خير من هذا الصمت الرهيب الذي يحل احياناً مكان الصراخ .

انكوف – ماذا تعنين بذلك ؟ أأنت ... ؟ ان هذا غير ممكن ؟

دورا – اسمع (تنتصب دورا فجأة . صوت عربة، ثم يسود الصمت) كلا ، انه ليس هو. ان قلبي يخفق ! أترى الي كيف لم اتقن بعد شيئاً ؟

انكوف (يطل من النافذة) – انتبهي الى ستيبان فهو يشير بيده ، انه هو بكل تأكيد .

(وبالفعل يسمع سير عربة من بعيد تقترب شيئاً فشيئاً ، تمر تحت النافذة وتبدأ بالابتعاد ، صمت طويل)

انكوف – بعـد ثوان معدودات ... (ينصتان) ما اطولها ...

(تهم دورا بالكلام ، يسود صمت طويل . وتسمع اجراس من بعيد .)

انكوف – هذا غير ممكن ، والا لكان يانك قد قذف قنبلته...لا بد ان تكون العربة قد وصلت الى المسرح.واين الكسي ؟ انظري ! انستيبان يعود القهقرى، ويركض نحو المسرح.

دورا (ترتمي عليه) – لقد اوقف يانك ، لقد اعتقل ، لا بد انهم اعتقلوه ، يجب ان نبادر الى عمل ما .

انكوف – انتظري (ينصت .) كلا ، بل انتهى كل امل .

دورا – وكيف كان ذلك ؟ ماذا ؟ أيساق يانك الى السجن دون ان يفعل شيئاً ؟ لقد كان مستعداً لكل شيء ، فانا متأكدة من ذلك . كان تواقاً الى السجن ، الى المحاكمة ، ولكن بشرط ان يقضي على الدوق الكبير ! لا هكذا .. لا هكذا ...

انكوف (ناظراً الى الخارج) – هوذا فوانوف ! اسرعي ! (تذهب دورا لتفتح،يدخل فوانوف وعلى وجهه علائم الانحلال .) تكلم يا الكسي ، أسرع ، أسرع في الكلام .

فوانوف – لست ادري شيئاً. كنت اترقب القنبلة الاولى ، رأيت العربة تسلك المنعطف فلم يحدث شيء. لقد فقدت وعي وحسبت انك ابدلت خططنا في آخر لحظـة ، فاحترت في امري ، وبعدها انطلقت اركض اليكم ...

انكوف – ويانك ، اين هو ؟

فوانوف – لم اره .

دورا – لا بد انه اعتقل .

انكوف (ناظراً دوماً الى الخـارج) – ها هو !

(يتابع الممثلون طريقة تمثيلهم نفسها. يدخل كاليايف ووجهه ممتلىء بالدموع .)

كاليايف (بذهول) – اغفروا لي ايهـا الاخوة، سامحوني، لم استطع...

(تمشي دورا نحوه وتمسك بيده .)

دورا – لا بأس عليك .

انكوف – ماذا حدث ؟

دورا (لكاليايف) – قلت لا بأس عليك ، ففي كثير من الاحيان ، ينهار كل شيء في آخر لحظة .

انكوف – لكن هذا غير ممكن .

دورا – دعه يا بوريا، لست وحيداً في موقفك يا يانك ، فان شويتزر كذلك لم يستطع القاءها في المرة الاولى .

انكوف – هل سيطر عليك الخوف يا يانك؟

كاليايف (منتفضاً) – ولكن مم اخاف،لا يحق لك ان تتهمني ...

(يقرع الباب وفق الاشارة المتفق عليها،يخرج فوانوف بايعاز من انكوف ، يبدو كاليايف متهافتاً . صمت . يدخل ستيبان .)

انكوف – ما وراءك يا ستيبان ؟

ستيبان – كان ثمة اطفال صغـار في عربة الدوق الكبير .

انكوف – اطفال صغار ؟

ستيبان – أجل ، كان هناك ابن اخي الدوق الكبير وبنت اخيه .

انكوف – ولكن حسب تعليمات اورلوف ، كنت اظن انه سيخرج وحيداً .

ستيبان – وكانت في العربة ايضاً زوجته ، الدوقة الكبيرة . وهذا يؤلف حشداً من الابرياء حسب رأي شاعرنا ... ولكن احمد الله ان احداً من المخبرين لم يرنا .

(يهمس انكوف ببعض الكلمات في اذن ستيبان ؛ ينظر الجميع الى كاليايف الذي يرفع عينيه نحو ستيبان .)

كاليايف (شارداً) – ما كان لي ان اتنبأ ... اطفال... اطفال صغار خصوصاً ... أرأيت الى اطفال صغار مرة في حياتك ، الى هذه النظرة ، نظرتهم الهادئة الرصينة احياناً ... انني لم استطع لحظة في حياتي ان اصمد لها ... مع انني كنت قبل برهة سعيداً حقاً في ظل زاوية الميدان الصغير... بل اقسم لك انه عندما ابتدأ مصباحا العربة يتألقان

من بعيد، احذ قلبي يخفق بالفرح... وكان يشتد خفقانه ما ازدادت سرعة العربة في جريها ... كان قلبي يضج في كياني كله ، وحسبت انني كنت اضحك . كان بودي ان اطفر، وكنت اردد « اجل، اجل » ... أفاهم انت ؟ (يحول نظره عن ستيبان،ويتخذ وضعه المسترخي من جديد.) وركضت نحوها ، نحو العربة ، وفي تلك اللحظة رأيتها ، لم يكونا هما ليضحكان ، بل كانا منتصبين ينظران في الفضاء ، ما كان احزن هيأتهما . كانا غارقين في ثياب العيد وأيديهما مسبلة على فخذيهما وصدراهما مرتفعان عند بابي العربة !... ولم أر الدوقة الكبيرة ... لم أر سواهمـــا . بل ليتهما نظرا الي ، إذن لكنت قذفت القنبلة... لا لشيء إلا لأطفيء هذه النظرة الحزينة ... غير انهما كانا ينظران دائماً الى امام... (يرفع نظره نحو الآخرين . صمت . بصوت اكثر انخفاضاً .) ولست ادري ماذا حدث بعد ذلك ، بل كل ما اعرفه ان ذراعي وهنت ، وساقي اضطربتا ، وما ان مضت ثانية حتى كان قد فات الاوان (يسود الصمت من جديد،ويطرق الى الارض .) وهل كان حلمـــا ما سمعته يا دورا ؟ لقد حسبت ان الاجراس كانت تقرع في تلك اللحظة .

دورا — كلا ، يانك ، انك لم تحلم .

(تضع يدها على ذراعه.يرفع كاليايف رأسه فيراهم ينظرون جميعاً نحوه فيقف .)

كاليايف — اخوتي ! انظروا الي جميعاً يـــا اخوتي ، حدقوا في ، حدق في يا بوريا ! ما انا بجبان ، ولم اتراجع قط عن عزمي . بل كل ما في الامر انني لم اتوقع وجودهمـــا ، فقد جرت الامور بسرعة بالغة...امامي وجهاهما ، وفي يدي هذا الثقل الرهيب ، وكان علي ان اقذفهما به . هكذا رأساً ... آه ، كلا ! لم استطـــع ... (ينقل نظرته من الواحد الى الآخر .) فيما مضى،عندما كنت اقود العربة عندنا في اوكرانيا كنت اسابق الريح ، وما كنت اخشى شيئاً ... خشيتي من ان ادهس طفلاً . كنت دائماً اتصور الصدمة ، هذا الرأس الطري الصغير ، يضرب الطريق وهو يتدحرج في الفضاء ... (يسكت)

اعينوني يا اخوتي... (يسود الصمت) كان بودي ان انتحر ، ان اقضي على نفسي ، وما عدولي عن ذلك وعودتي اليكم إلا لأني كنت اعتقد بان لكم الحق في ان تحاسبوني وبانكم وحدكم قضاتي، وبانكم ستصارحونني اذا كنت مخطئاً او مصيباً . وبانكم لا يمكن ان تزلوا او تخطئوا ...ولكني اراكم صامتين لا تنبسون بكلمة ! (تقترب دورا منه حتى لتكاد تلامسه ، ينظر اليهـــم وبصوت كئيب) ها كم ما اقترح : اذا انتم قررتم القضاء على هذين الطفلين ، فسأنتظر خروج الناس من المسرح وسأقذف القنبلة بمفردي عـــلى العربة . ويقيني بانني لن اخطيء هدفي . أجمعوا على الأمر فقط ، وسأطيع ما تأمرني به المنظمة .

ستيبان — اما المنظمة فقد امرتك بان تقتل الدوق الكبير .

كاليايف — هذا صحيح، ولكنها لم تطلب الي ان اقتلك باطفال .

اننكوف — ان يانك على صواب، فنحن لم نقدر ذلك .

ستيبان — بل كان عليه ان يطيع الاوامر.

اننكوف — انا المسؤول . كان يجب ان نستشف كل شيء وألا يتاح لأحد ان يتردد فيما ينبغي عمله . اما الآن فيجب فقط ان نقرر : هل ندع هذه المناسبة تفوتنا نهائياً ، ام نأمر يانك بانتظار خروج النـــاس من المسرح . وانت يا ألكسي ، هل عندك ما تقوله ؟

فوانوف — لست ادري ما اقول . احسب اني كنت اعمل كما يعمل يانك . ولكنني لست واثقاً من نفسي . (بصوت اكثر انخفاضاً) : ان يدي ترتجفان .

اننكوف — وانت يا دورا؟

دورا (بعنف) — كنت تراجعت ايضاً مثل يانك ، وهل بوسعي ان انصح الآخرين بالأمر الذي لا استطيعه ؟

ستيبان — هل تعون ماذا ينطوي عليه قراركم من معان.هذا يعني ان نحبك خططنا من جديد طيلة شهرين آخرين ، ان تتهددنا اخطار رهيبة فنحاول تجنبها ، ان نهدر شهرين كاملين عبثاً ... وهذا يعني ايضاً ان ايكور قد اعتقل عبثاً وان ريكوف قد شنق من اجل لا شيء . يجب ان يعـــاد إذن كل شـــيء من جـــديد ، أليس كذلك ؟ يجب ان نسهر اسابيع طوالاً وان نفلت من مكائد لا تنتهي ؛ بل تلزمنـــا كذلك اسابيع طويلة من التوتر المستمر ، قبل ان تسنح الفرصة من جديد ... فهل انتم مجانين ؟

اننكوف — انك تعرف جيداً ان الدوق الكبير سيعود الى المسرح بعد يومين اثنين .

ستيبان — اجل ، طيلة يومين اثنين نكون مهددين بالاعتقال ، لقد قلت ذلك بنفسك .

كاليايف — انا ذاهب .

دورا — بل انتظر ! (لستيبان) : أفتستطيع انت يا ستيبان ان تطلق على طفل عن كثب وانت مفتح العينين ؟

ستيبان — اجل ، استطيع ذلك ان امرتني به المنظمة .

دورا — ولماذا تغمض عينيك ؟

ستيبان — وهل اغمضتهما ، انا .

دورا — أجل .

ستيبان — اذن ، فقد يكون بودي ان اتصور المشهد بحذافيره ، وان اجيب وانا عليم بالاسباب والنتائج .

دورا — افتح عينيك اذن ، وافهم تماماً ان المنظمة تفقد سلطانها وتأثيرها ان هي تسامحت لحظة واحدة في ان يسحق اطفال بقذائفنا .

ستيبان — ان حنان قلبي لا يتسع لمثل هذه الترهات . انني اعلنها صريحة اننا يوم نعزم على ان ننسى الاطفال ، عندها نصبح سادة العالم ، وعندها ايضاً تفوز الثورة وتنتصر .

دورا — وفي ذلك اليوم تزدري الانسانية جمعاء ثورتنا وتحتقرها .

ستيبان — وأي حرج في ذلك ، ان نحن احببناها بكل جوارحنا لنفرضهـــا على الانسانية جمعاء فنحررها من نفسها ومن عبوديتها .

دورا — ولكن ما العمل اذا نبذت الانسانية جمعاء ثورتنا ، وما العمل اذا أبى الشعب بأجمعه ، والذي من اجله نناضل ، ان يقتل اطفـــاله زوراً وبهتاناً ، فهل يجب ان نسحقه ايضاً ...

ستيبان — اجل وبكل تأكيد ، يجب ان نعمل فيه هراواتنا اذا لزم الامر،الى ان يفهم..! وأنا ايضاً احب الشعب يا دورا !

دورا — ليس للحب هذا الوجه .

ستيبان — ومن قال هذا ؟

دورا — انا ، دورا .

ستيبان — انك امرأة، وان لك نظرة مسكينة الى الحب .

دورا (بحدة وانفعال) — ولكن عندي فكرة صائبة عما هو العار ...

ستيبان — لقد شعرت بالعار تجاه نفسي مرة واحدة في حياتي ، وذلك بسبب وزر الآخرين. وكان ذلك عندمـــا جلدت . أجل فلقد جلدوني بالسوط ! السوط ، اتعرفون ما هو . كانت فيرا بجانبي آنذاك ، وقد انتحرت احتجاجاً على ذلك . اما انا فقد عشت. فاي شيء يشعرني الآن بالعار.

اننكوف — انا هنا جميعاً نحبك ونحترمك يا ستيبان . ولكن أياً كانت حججك فلا استطيع ان ادعك تصرح بان كل شيء مباح.لقد قضت مئات من اخواننا كي يعلم الناس ان ليس كل شيء مباحاً.

ستيبان — لا شيء مما يمكن ان يخدم قضيتنا ممنوع .

انتكوف (غاضباً) – هل تسمح لأحد اعضاء حركتنا ان يتقلد منصباً من مناصب الشرطة فيلعب على الحبلين كما كان يقترح أيفنو ؟ هل تقبل بتمثيل ذلك الدور .

ستيبان – بلا شك ، اذا اقتضى الامر .

انتكوف (منتصباً) – اسمع يا ستيبان ، سننسى ما قلته منذ هنيهة، اعتباراً لما قمت به من اعمال لنا وفي صفوفنا . ولكن تذكر جيداً ما سأقوله الآن : ان القضية هي معرفة ما اذا كنا سنقذف قنابلنا بعد برهة على هذين الطفلين !

ستيبان – ايضاً وايضاً اطفال ! ليس في افواهكم غير هذه الكلمة ! اتراكم لا تفقهون شيئاً ؟ ألأن يانك لم يقتل هذين الطفلين، سيموت آلاف من الاطفال الروس جوعاً طيلة سنوات اخرى . هل رأيتم اطفالاً يموتون جوعاً ؟ اما انا فقد رأيت . ولعمري ان الموت بالقنابل لأمر ساحر اذا ما قيس بذلك الموت . ولكن يانك لم ير اطفالاً يموتون جوعا . لم ير سوى هذين الكلبين المدربين ، كلبي الدوق الكبير . ألستم بشراً ، أتعيشون فقط في اللحظة الآنية. اختاروا اذن الاحسان واشفوا فقط الداء يوماً فيوماً،لا الثورة التي تبغي شفاء علل الحاضر وآفات المستقبل مرة واحدة .

دورا – لقد قبل يانك بان يقضي على الدوق الكبير لأن موته يستطيع ان يعجل الزمن الذي لن يموت الاطفال الروس فيه جوعاً بعد .. ان هذا لعمري ليس بالعمل اليسير . ولكن القضاء على ابن اخي الدوق الكبير لن يمنع طفلاً ما من ان يموت جوعاً . يجب ان تفهم يا ستيبان ان هناك نظاماً وحداً حتى في الهدم والتخريب .

ستيبان (بعنف) – لا حد ولا نظام ! الحقيقة هي انكم لا تؤمنون بالثورة (ينهض الجميع ما عدا يانك). انكم لا تؤمنون بها ابداً. ولو كنتم تؤمنون بها ايماناً كلياً كاملا، ولو كنتم واثقين بانا ان سنبلغ نشيد بتضحياتنا وانتصاراتنا ،روسيا محررة من الطغيان وارضا للحرية ستعم العالم اجمع، لما اقتم وزنا لموت طفلين صغيرين. ولو كنتم لا تشكون لحظة واحدة ، في ان الانسان المحرر من اسياده وخرافاته سيرفع نحو السماء وجه الآلهة الحقيقيين لكنتم اقررتم جميع الحقوق، جميعها، أتسمعونني . واذا ما اوقفكم دون ذلك موت كهذا فذلك يعني انكم لستم واثقين من حقكم . هذا يعني انكم لا تؤمنون بالثورة . (صمت . كالياييف ينهض .)

كالياييف – انني خجل من نفسي يا ستيبان ، ومع ذلك فلن ادعك تسخر . لقد قبلت بالقتل لأقلب الطغيان . غير اني استشف وراء ما تقول طغيانا آخر لئن قام يوما ، فسيجعل مني مجرما ، فيا انا احاول ان اكون انسان عدل .

ستيبان – وأي حرج في ألا تكون انسان عدل اذا تحققت العدالة حتى على ايدي المجرمين. اننا ، انت وانا ، لا شيء .

كالياييف – بل نحن شيء ما ، وانك لتعرف ذلك تماما ، ما دمت تتكلم اليوم باسم كبريائك .

ستيبان – ان كبريائي لا تعني احداً سواي ولكن كبرياء البشر وتمردهم والظلم الذي يعيشون فيه ، ان هذه اشياء تعنينا جميعا .

كالياييف – ليس بالعدل وحده يحيا البشر .

ستيبان – فبأي شيء يحيا البشر اذن ، إذ يسلبون قوتهم ، إن لم يكن بالعدل .

كالياييف – يعيشون بالعدل والبراءة .

ستيبان – اما البراءة ، فلقد عرفتها على ما اعتقد . ولكني اخترت ان اتجاهلها وان اجعل الوف البشر يتجاهلونها ، كي تأخذ يوما من الايام معنى أجل .

كالياييف – علينا ان نتق تماما بان ذلك اليوم آت لا ريب فيه، لا لشيء الا لنتكر كل ما يجعل انسانا يرتضي بان يعيش .

ستيبان – انا من ذلك على يقين .

كالياييف – بل لا يمكنك ان تتيقن من ذلك . فلكي نعرف من منا نحن الاثنين على حق لا بد من تضحية ثلاثة اجيال بكاملها ، ومن عدة حروب وثورات رهيبة . وحين تجف هذه الامطار من الدماء، نكون نحن الاثنين قد امتزجنا منذ زمن بعيد بالتراب .

ستيبان – وسيأتي آخرون آنذاك فأحييهم كأخوتي سواء بسواء .

كالياييف (صارخا) – آخرون ... أجل! اما انا فاحب الذين يعيشون على الارض نفسها التي اعيش عليها الآن ، وهم الذين سأحييهم. انني من اجلهم اناضل، وفي سبيلهم ارتضيت بان اموت. ولن اصفع وجه اخوتي هؤلاء في سبيل مدينة بعيدة المنال . لن اضيف الى ظلم قائم يسعى، ظلما اخر ، من اجل عداله لا تزال في طي العدم . (بصوت اكثر انخفاضا ولكنه حازم) : إي اخوتي ! اريد ان اصارحكم، وان اقول لكم على الاقل هذا الشيء الذي يستطيع ابسط فلاحينا ان يقوله : ان قتل الاطفال يناقض الشرف ، واذا ما انسلخت الثورة يوما عن الشرف ، وأنا على قيد الحياة ، فساتنكر لها . واذا قررتم قتل الاطفال ، فاذهب الى المسرح ، ساعة الخروج ، ولكني سارمي بنفسي تحت سنابك الخيل .

ستيبان – ان الشرف ترف يختص به من يملكون العربات الفاخرة ...

كالياييف – كلا ، بل هو اخر فلس في جعبة الفقير . وانك لتعرف ذلك تماما ، وتعرف بان للثورة شرفا ايضا ، هو الذي من اجله نحيا ، ومن اجله نموت . وهو الذي روضك يا ستيبان في يوم من الايام تحت لذعات السياط ، وهو الذي يحملك على الكلام اليوم ايضا .

ستيبان (صائحا) – صه ! اني أمنعك من الكلام في هذا الموضوع .

كالياييف (مهتاجا) – ولماذا أسكت. لقد تركتك تعلن بانني لا اؤمن بالثورة، وهذا يعادل قولك لي بانني كنت قادراً على قتل الدوق عبثا ، وانني كنت مجرما . لقد تركتك تقول ذلك ولم احاول ضربك .

انتكوف – كفاك ، يانك !

ستيبان – عبثا يكون القتل احيانا ، اذا لم تمعن في التقتيل امعانا !

انتكوف – ليس احد هنا يشاركك الرأي يا ستيبان ، فلقد اتخذنا القرار الفصل .

ستيبان – اني لأخضع لقراركم اذن ، ولكني اردد بان الارهاب لا يتفق والمرهفين . انما نحن قتلة، ولقد اخترنا ان نكون كذلك

كالياييف (خارجا عن طوره) – كلا ، وانما اخترت الموت كي لا ينتصر الاجرام . لقد اخترت بان اكون بريئا!

انتكوف – كفاك يا ستيبان ! كفاك يانك! لقد قررت المنظمة بان لا جدوى من قتل هذين الطفلين . وعلينا ان نحبك المؤامرة من جديد وينبغي ان نكون مستعدين لاعادة ما حاولناه بعد مغي يومين اثنين .

ستيبان – واذا صحبه الطفلان من جديد .

كالياييف – عندها سنترقب فرصة اخرى .

ستيبان – واذا رافقته الدوقة الكبيرة .

كالياييف – لن اوفرها ابداً .

انتكوف – احموا !

(يسمع صوت العربة. يندفع كالياييف دون مقاومة نحو النافذة، بينما الجميع ينتظرون. تقترب العربة فتمر تحت النوافذ ثم تغيب) .

فوانوف (ناظراً الى دورا التي تتجه نحوه) – وهكذا نعيد الحكاية من جديد ، يا دورا ...

ستيبان (بازدراء) – أجل يا الكسي ، يجب اعادة الحكاية من جديد ، ولكن لا بد من ان نفعل شيئا في سبيل الشرف !

ستار

– التتمة على الصفحة ٨٩ –

العـــــادلون

البقية من الصفحة ٤٨

الفصل الثالث

في المكان نفسه . في الزمان نفسه . بعد يومين

ستيبان – ما الذي يفعله فوانوف ؟ كان ينبغي له ان يكون هنا .

اننكوف – انه بحاجة الى النوم . وما زال امامنا نصف ساعة .

ستيبان – بوسعي اذن ان اذهب لأتسقط الاخبار .

اننكوف – كلا . بل علينا ان نحد من التعرض للاخطار (صمت.) ما بالك انت يا يانك، لا تقول شيئاً ؟

كالياييف – ليس عندي ما اقوله ، فلا تقلق (يقرع جرس الباب .) ها هو .

(يدخل فوانوف)

اننكوف – هل نمت ؟

فوانوف – نعم ، قليلاً .

اننكوف – وهل نمت طيلة الليل ؟

فوانوف – لا .

اننكوف – كان عليك ان تفعل ، ثمة وسائل لذلك .

فوانوف – لقد حاولت ، ولكني كنت من فرط التعب بحيث لم استطع .

اننكوف – ان يديك لترتجفان

فوانوف – كلا (ينظر اليه الجميع .) ما بالكم تنظرون الي ، الا يمكن للمرء ان يكون تعباً ؟

اننكوف – بلى ، يمكن للانسان ان يتعب، ولكننا مهتمون بامرك .

فوانوف (بعنف مفاجيء) – كان عليكم ان تفكروا في ذلك امس الاول ، فلو ان القنبلة قذفت منذ يومين لزال تعبنا .

كالياييف – سامحني يا ألكسي ، فقد زدت الامور تعقيداً .

فوانوف (بصوت اكثر انخفاضاً) – ومن يقول هذا ؟ انك لم تزدها تعقيداً ، كل ما في الامر انني تعب .

دورا – ان كل شيء سيسير بسرعة منذ الآن؛ فما هي إلا ساعة حتى ننتهي .

فوانوف – اجل ، سننتهي . بعد ساعة ... (ينظر حوله . تمشي دورا نحوه وتأخذ يده . يرخي يده ثم ينتزعها بعنف .) اود ان اكلمك يا بوريا .

اننكوف – على انفراد ؟

فوانوف – اجل على انفراد .

(يتبادلون النظرات. يخرج كالياييف ودورا وستيبان .)

اننكوف – ما الخبر ؟ (يظل فوانوف صامتاً) ارجوك ، قل لي ما الخبر .

فوانوف – انني اشعر بالخجل يا بوريا (صمت .) اني خجل، وعلي ان اخبرك بالحقيقة.

اننكوف – الا تريد ان تقذف القنبلة ؟

فوانوف – بل لا استطيع قذفها .

اننكوف – أخائف انت ؟ إن كان هذا ما يمنعك ، فلا داعي للخجل .

فوانوف – انني خائف ، وخجل من انني خائف .

اننكوف – ولكنك كنت فرحاً وقوياً منذ يومين ، وعندما غادرتنا كانت عيناك تلمعان .

فوانوف – لقد كنت دائم الخوف، إلا انني امس الاول استجمعت شجاعتي ، هذا كل ما في الامر ، وعندما سمعت العربة تهدر من بعيد قلت في نفسي : « هيا بنا، لم يبق الا دقيقة واحدة. » وكنت أصر باسناني. وكانت جميع عضلاتي متوترة. وكنت على وشك ان اقذف القنبلة بعنف يبلغ من الشدة بحيث كان عليها ان تقتل الدوق الكبير لساعته . كنت انتظر الانفجار الاول حتى افجر جميع هذه القوى المدحرة في جسدي . ثم لا شيء . فقد اقبلت العربة علي ، وكم كانت مسرعة في جريها ! وحين جاوزتني ايقنت بان يانك لم يقذف القنبلة . وفي تلك اللحظة اعتراني برد فظيع ، واحسست فجأة بضعفي كما لو انني طفل صغير .

اننكوف – لا تخف هذا يا ألكسي ، فلا بد للحياة من ان تستعيد تدفقها

فوانوف – ولكن الحياة منذ يومين لم تعد، لقد كذبت عليك منذ لحظات، فأنا لم انم هذه الليلة. ولقد كان قلبي يخفق بعنف كبير . آه ، يا بوريا ! انني يائس .

اننكوف – دعك من اليأس يا ألكسي، فلقد كنا جميعاً مثلك ، ولن تقذف القنبلة هذه المرة . تأخذ شهراً من الراحة في فنلندا ، ثم تعود الينا.

فوانوف – لا ، ليس هذا هو المهم . فانني إن لم اقذف القنبلة اليوم ، فلن اقذفها ابداً .

اننكوف – ماذا تقول ؟

فوانوف – الحق انني لم اخلق للارهاب . وانا الآن على يقين من ذلك . خير لي ان اتركم ، وسأجد عملاً في لجان الحزب او في فروع الدعاية .

اننكوف – ان المخاطر متساوية هنا وهناك.

فوانوف – صحيح ، ولكن بامكان المرء ان يعمل وهو مغمض العينين؛ فهو لا يدري شيئاً.

اننكوف – وما تقصد بذلك ؟

فوانوف (بحمى) – أجل ، لا يدري المرء شيئاً . فمن السهل الاشتراك بالاجتماعات ومناقشة الاوضاع الراهنة ونقل اوامر التنفيذ بعد ذلك . ومن المؤكد ان الانسان يجازف هكذا بحياته ايضاً ، ولكن تلمساً ودون ان يرى شيئاً . أما ان ينتصب هذا الانسان واقفاً ، إذ يهبط المساء على المدينة ، وسط هذا الجمهور ، هؤلاء الذين يحنون الخطى ، ليلقوا حساء لاهباً واطفالاً صغاراً ، ودفء امرأة، أن ينتصب المرء واقفاً اخرس ، وفي كفه وزن قنبلة ثقيل، وان يعلم انه بعد ثلاث دقائق، بعد دقيقتين اثنتين ، بعد ثوان معدودات سيفر منذفعاً من امام عربة تتطاير ملتهبة ... ان هذا لهو الارهاب ، وانا اعلم الآن انني لن استطيع اعادة التجربة دون ان اشعر اني قد فرغت من دمي . أجل اني خجل . لقد هدفت الى اعلى مما استطيع بكثير ، وكان علي ان اعمل في مقامي المعد لي . مقام متواضع وصغير جداً . المقام الوحيد الذي انا خليق به .

اننكوف – ليس من مقام صغير ، فالسجن والمشنقة هما دوماً في النهاية .

فوانوف – ولكننا لا نراهما ، كما نرى هذا الذي نهم بقتله . ينبغي ان نتخيلها . ومن حسن حظي انني لا احسن التخيل (يضحك بعصبية) ولم اتوصل مطلقاً الى الاعتقاد بوجود الشرطة السرية . أليس هذا امراً غريباً بالنسبة لأرهابي ؟ ولن اصدق انها موجودة إلا بعد الرفسة الاولى في بطني ، لا قبلها .

اننكوف – وما ان تدخل السجن ، حتى تعرف وترى ؛ فلا نسيان هناك على الاطلاق .

فوانوف – ولكن في السجن ليس امام المرء قرار يتخذه . أجل ، هذا ما أحن اليه : ألا اتخذ قراراً بعد ! ألا اقول لنفسي بعد :

« هيا عليك انت وحسدك ان تعين الثانية التي ستنطلق فيها » ويقيني الآن اني اذا اعتقلت، فلن احاول الفرار. ولكن حتى الفرار يقتضي الخلق والابداع والمبادرة ، واذا لم يحاول الانسان الفرار، فان الآخرين هم الذين يحتفظون بالمبادرة وعليهم يقع عبء العمل بكامله .

انتكوف – ولكنهم يعملون احياناً على شنقك .

فوانوف (ببأس) – احياناً . ولكن ان اموت اقل صعوبة علي من ان احمل على كفي حياتي وحياة آخر ، وان اعين اللحظة التي سأقذف فيها هاتين الحياتين وسط اللهب . كلا يا بوريا ، ان الطريقة الوحيدة التي املكها لأكفر بها عن نفسي ، هي ان اقبل ما انا عليه . (يظل انتكوف على صمته .) حتى الجبناء يستطيعون ان يخدموا الثورة ، يكفي ان يجدوا مكانهم .

انتكوف – كنا اذن جبناء ، غير ان الفرصة لا تسنح لنا دائماً للتحقق من هذا الجبن ، فافعل ما تشاء .

فوانوف – أفضل ان ادهب مورا. يخيل الي انني لن استطيع ان انظر اليهم وجهاً لوجه . ولكنك ستحدثهم انت .

انتكوف – اجل سأحدثهم (يقترب منه) .

فوانوف – بلغ يانك بان ليس الذنب ذنبه ، واني احبه كما احبكم جميعاً .

(صمت . انتكوف يعانقه)

انتكوف – استودعك الله يا اخي ، لا بد لكل شيء من نهاية ، ولا بد لروسيا من ان تحيا سعيدة .

فوانوف (منسلاً) – اجل فلتحي سعيدة ! فلتحي سعيدة !

(يتجه انتكوف نحو الباب)

انتكوف – تعالوا جميعاً .

(يدخل الجميع مع دورا)

ستيبان – ماذا هناك ؟

انتكوف – لن يقذف فوانوف القنبلة ، انه منهوك القوى ، وهو غير واثق من اصابة الهدف .

كالياييف – ان هذا بسببي انا ، أليس كذلك يا بوريا ؟

انتكوف – لقد بعث يبلغك حبه .

كالياييف – هل سنراه بعد اليوم ؟

انتكوف – من المحتمل ان نراه ؛ وبانتظار ذلك ، فانه قد غادرنا .

ستيبان – لماذا ؟

انتكوف – سيؤدي خدمات امهد في لجان الحزب .

ستيبان – وهل طلب ذلك ؟. انه اذن يخاف !

انتكوف – كلا ، بل انا الذي قررت كل شيء .

ستيبان – أنحرمنا رجلاً قبل ساعة من الاغتيال؟

انتكوف – اجل ، قبل ساعة من الاغتيال كان لا بد لي من اتخاذ قرار بمفردي ؛ لقد فات أجل المناقشة ، سأحل مكان فوانوف .

ستيبان – ان هذا من حقي انا .

كالياييف (مخاطباً انتكوف) – انت الزعيم يا بوريا وواجبك ان تبقى هنا .

انتكوف – من واجب الزعيم ان يكون جباناً في بعض الاحيان، ولكن شريطة ان يبلو صلابته في الوقت المناسب . لقد اتخذت قراري، فعليك يا ستيبان ان تنوب عني ما اقتضى ذلك من الزمن ؛ تعال معي ، عليك ان تعرف التعليمات .

(يخرجان . يمشي كالياييف فيجلس . تتجه دورا نحوه وتمد يدها ، ولكنها تعدل)

دورا – ليس هذا خطأك

كالياييف – لقد آلمته، آلمته جداً . أتعرفين ما قال لي ذات يوم ؟

دورا – كان يردد دون ما انقطاع بانه سعيد .

كالياييف – نعم ، ولكنه قال لي ايضاً ، انه لا سعادة له خارج جماعتنا ، كان يقول : « اننا هنا ، المنظمة ، ثم لا شيء بعد ذلك، ومنظمتنا في هذا ضرب من الفروسية » انه لبستحق الشفقة، يا دورا !

دورا – لا بد له ان يعود

كالياييف – لا اعتقد ، فأنا اتصور ما كنت اشعر به لو اني كنت مكانه ؛ إذن ليست ...

دورا – والآن ، ألست يائساً ؟

كالياييف (بحزن) – الآن ؟ انني معكم ، وانا سعيد ، كما كان هو سعيداً .

دورا (ببطء) – انها لسعادة عظيمة

كالياييف – اجل انها لسعادة عظيمة حقاً ، ألا تعتقدين مثل ما اعتقد .

دورا – بلى أعتقد مثلك ، فلم إذن تبدو حزيناً ؟ منذ يومين كان وجهك وضاء ، وكنت تبدو وكأنك تسير للقاء عيد كبير، اما اليوم...

كالياييف (واقفاً باضطراب شديد) – أما اليوم ، فأنا اعلم ما كنت اجهل . لقد كنت على حق ، فليست المسألة سهلة الى هذا الحد ، كنت اظن ان من اليسير ان يقتل الانسان انساناً آخر، وان الفكرة تكفي والشجاعة ، ولكني لست من العظمة بهذا القدر ، ويقيني الان ان لا سعادة في الحقد . وهذا الشر كله ، هذا الشر كله ، لدي ولدى الآخرين ... القتل ، الجبن ، الظلم ... اوه لا بد من القضاء عليه ، لا بد من ذلك ، ولكن سأمضي حتى النهاية ! سأمضي الى ابعد من الحقد !

دورا – ابعد من الحقد ؟ ليس هناك ابعد منه .

كالياييف – بل هناك الحب

دورا – الحب ؟ ليس الحب هو ما نحتاج اليه...

كالياييف – اي دورا ، كيف تقولين هذا انت التي اعرف قلبك ...

دورا – ان هناك مزيداً من الدم ، مزيداً من العنف والضراوة ... فأولئك الذين يحبون العدالة بالفعل لا حق لهم في الحب، فهم لا ينفكون منتصبين مثلي انا ، رأسهم في السماء ، ونظراتهم محددة، فأي مكان يبقى للحب في مثل هذه القلوب المعتزة ؟ ان الحب يحني الهامات ، على مهل يا يانك ، أما نحن فان رقابنا صلبة .

كالياييف – ولكنا نحب شعبنا .

دورا – اجل نحبه، هذا صحيح ولكننا نحبه حباً مهلهلا دون ما أبد ، حباً يائساً . اننا نحيا بعيدين عنه، منزوين في غرفنا، تائهين في افكارنا . وهذا الشعب ، هل يحبنا هو ؟ هل يعرف اننا نحبه ؟... ان الشعب ليصمت ، واي صمت!

كالياييف – ولكن هذا هو الحب بعينه ، ان يهب الانسان كل شيء ، ان يضحي بكل شيء دون ما امل بالاسترداد .

دورا – قد يكون ... وان هذا هو الحب المطلق . الفرح المحض المتوحد ، انه هو الذي يحرقني في الحقيقة . ومع ذلك فانا اتساءل احياناً اذا لم يكن الحب شيئاً غير هذا ، اذا كان يستطيع ان يكف عن ان يكون مناجاة للنفس، ام اذا لم يكن اهلاً لجواب في بعض الاحيان . انا اتخيل هذا : الشمس تلمع في الافق والهامات تنحني على مهل والقلب يغادر عزته والاذرع تنفتح . اي يانك، لو اننا نستطيع ان ننسى ولو لساعة من الزمن ، بؤس هذا العالم الفظيع وظلماته وان نترك انفسنا تحري على سجيتها، ساعة واحدة صغيرة من الانانية ... هل تستطيع ان تتمنى ذلك ؟

كالياييف – اجل يا دورا ، وهذا ما يسمى بالحنان .

دورا – انك تفطن لكل شيء يا حبيبي، فهذا ما يدعى حناناً بحق ، ولكن هل تعرفه فعلاً ؟ وهل تحب العدل بحنان ؟ (يظل كالياييف صامتاً .) هل تحب شعبنا بهذا الانقياد وهذه الدعة، أم انك على العكس تحبه بلهيب الانتقام والتمرد ؟ (يظل كالياييف على صمته) أترى ؟ انك لم تحر جواباً،

(تمشي نحوه وتتابع بلهجة بادية الضعف) : وأنا ، أنا ، هل تحبني بحنان ؟

(ينظر كالياييف اليها)

كالياييف (بعد لأي) — لن يحبك احد ابداً كما احبك .

دورا — اني لأعرف ذلك . ولكن أليس من الافضل ان يحب المرء على سنة الناس اجمعين؟

كالياييف — لست على شاكلة الناس اجمعين ، بل احبك كما انا .

دورا — هل تحبني اكثر من العدل ؟ وهل حبك لي أشد من حبك للمنظمة ؟

كالياييف — انا لا أميز بينكن ، انت والمنظمة والعدالة .

دورا — نعم، ولكن اجبني بربك، اني اتوسل اليك ، اجبني : أتحبني في عزلتك بحنان وانانية ؟ هل كنت تحبني لو انني كنت ظالمة ؟

كالياييف — لو كنت ظالمة وكان في قدرتي ان احبك لما وقع اختيار حبي عليك .

دورا — انك لا تجيب على سؤالي ؛ قل لي فقط هل كنت تحبني لو لم اكن في المنظمة ؟

كالياييف — فأين تكونين اذن ؟

دورا — اني لأذكر زمن دراستي . كنت لا انفك عن الضحك ، كنت جميلة آنذاك ، كنت اقضي ساعات طوالاً احلم فيها واتنزه. فهل كنت تحبني لو انني خفيفة طائشة لا هم لي ؟

كالياييف(يتردد وبصوت منخفض جداً) — انني لأموت شوقاً وتحرقاً لأقول لك : نعم .

دورا (صارخة) — بل قل نعم يا حبيبي ان كنت تعتقد بذلك ؛ قل نعم ، ان كان هذا صحيحاً. نعم ! في وجه العدالة . نعم ! ازاء البؤس والشعب المقيد بالسلاسل. نعم ! نعم ! أتضرع اليك رغم حشرجة الاطفال ، رغم الذين يشنقون والذين يجلدون حتى الموت ...

كالياييف — اصمتي يا دورا !

دورا — لا ، لن اسكت ، فلا حرج على المرء ان يدع قلبه يتكلم مرة واحدة على الاقل. فأنا انتظر ان تدعوني ، انا دورا ، ان تناديني من فوق هذا العالم الذي يسممه الظلم ...

كالياييف (بقسوة) — اخرسي . ان قلبي لا يحدثني الا عنك . ولكن علي ألا اضطرب بعد حين .

دورا (شاردة) — بعد حين ؟ نعم ؛ لقد نسيت ... (تضحك وكأنها تبكي) كلا ، بل طوعاً لك يا حبيبي . لا تغضب ، لم اكن على صواب . ان هذا من جراء التعب . وانا ايضاً ما كنت لأستطيع ان اقول ذلك فحبي لك من هذا الحب الثابت الجامد نفسه الذي لا تميز بينه وبين العدالة والسجون . أتذكر يا حبيبي يانك ذلك الصيف ...؟ ولكن لا ، فنحن لا نفتأ في شتاء ابدي . اننا لسنا من هذا العالم . إنما نحن عادلون . فثمة حرارة هي ليست لنا . (ماتفتة) : رباه ! رفقاً بالعادلين !

كالياييف (ناظراً اليها بيأس) — أجل، هذا نصيبنا الوحيد فالحب مستحيل . ولكنني سأقتل الدوق الكبير وعندها لا بد من سلام دائم لك ولي على حد سواء .

دورا — ذلك السلام ! ولكن متى سنلقاه ؟

كالياييف (بعنف) — في اليوم التالي .

(يدخل انكوف وستيبان فيبتعد كالياييف ودورا احدهما عن الآخر)

انكوف — يانك !

كالياييف — حالاً . (يتنفس بعمق) : واخيراً ، واخيراً ...

ستيبان (يقترب منه) — استودعك الله يا اخي ، ان قلبي دوماً معك .

كالياييف — استودعك الله يا ستيبان (يلتفت نحو دورا) : استودعك الله يا دورا فقد لا اراك بعد اليوم .

(تقترب دورا منه فيكادان يلتصقان دون ان يتلامسا)

دورا — بل الى اللقاء يا حبيبي . لا بد وان نلتقي . (ينظر اليها . يسود صمت) .

كالياييف — الى اللقاء ، فأنا...لا بد لروسيا من ان تصبح رائعة .

دورا (دامعة باكيه) — أجل ستصبح روسيا جميلة حقاً .

(يرسم كالياييف اشارة الصليب امام الايقونة ويخرج مع انكوف. يمشي ستيبان نحو النافذة ، اما دورا فلا تتحرك بل تظل شاخصة نحو الباب)

ستيبان — يا لخطواته الثابتة ما اقومها ! كنت مخطئاً عندما نزعت ثقتي من يانك ، الا ترين ذلك معي ؟ فقد كنت لا احب حماسته . أرأيت اليه عندما رسم اشارة الصليب ؟ فهل هو مؤمن حقاً ؟

دورا — انه لا يمارس العبادة والصلاة .

ستيبان — ومع ذلك فنفسه دينة وهذا ما كان يفرق بيننا . انني اشد منه خشونة . غير اننا نحن الذين لا نؤمن بالله ، لا بد لنا من تحقيق العدل باكمله او نتخبط في اليأس .

دورا — اما في نظره فان العدل نفسه موئس.

ستيبان — نعم ، نفسه ضعيفة ، ولكن يده قوية ، فهو اعظم قيمة من نفسه . لا شك انه سيقتله ، هذا مؤكد . ان هذا شيء حسن ، بل حسن جداً . لا بد من الهدم والتخريب . هذا ما يجب علينا . ولكن ما بالك لا تقولين شيئاً ؟ (يتفحصها) : أتحبينه ؟

دورا — لا بد للحب من توفر الزمان . أما نحن فلا يكاد وقتنا يكفي للعدالة .

ستيبان — انك على حق . فثمة اعمال كثيرة علينا ان نحققها ، علينا ان نهدم هذه الدنيا رأساً على عقب ... وبعد ذلك ... (عند النافذة) : بت لا اراهما ، لا بد انهما وصلا .

صدر حديثاً

الجزء الثاني والثالث من سلسلة كنوز القصص الانساني العالمي

أسرة آرتامونوف

بقلم : مكسيم غوركي

نقله إلى العربية

منير البعلبكي

اروع آثار القاص الروسي الكبير منقولاً نقلاً علمياً امينا في جزأين تبلغ صفحاتها نحواً من ٥٤٠ صفحة

ثمن الجزأين (٥٥٠) ق.ل. دار العلم للملايين

دورا – وبعد ذلك ...

ستيبان – وبعد ذلك ... نفرغ للحب .

دورا – إن كنا لم نزل على قيد الحياة .

ستيبان – يتفرغ الآخرون لحبهم، ولا فرق عندي بين هذا وذاك .

دورا – اي ستيبان ، انطق بهذه «الحقد.»

ستيبان – ماذا ؟

دورا – هذه الكلمة : « الحقد » تلفظ بها.

ستيبان – الحقد .

دورا – عافاك الله . فان يانك كان لا يحسن النطق بها .

ستيبان (بعد لأي ، سائراً نحوها) – انني افهم فأنت تزدريني. ولكن هل انت متأكدة من انك على صواب ؟ (يسود الصمت برهة ثم لا يلبث ان يصيح بعنف متزايد) : انكم هنا جميعاً تساومون على ما تفعلون باسم الحب الخسيس. اما انا فلا احب شيئاً بل احقد ، نعم ، احقد على امثالي، فماذا يجديني حبهم هذا ؟ لقد عرفته ، حبهم في المعتقل، منذ ثلاث سنوات... ومنذ ثلاث سنوات وانا احمله على ظهري ؛ فهل تريدين مني ان أرق فأحمل القنبلة كما لو كنت احمل صليباً ؟ لا ! لا ! لقد تجاوزت حدي ... وعرفت اشياء كثيرة ... اكثر مما ينبغي ... انظري ... (يمزق قميصه . تتحرك دورا نحوه ولا تلبث ان تتراجع امام آثار السياط) : هذه هي الآثار ! آثار حبهم ! فهل تزدريني بعد اليوم ؟

(تمشي دورا نحوه وتعانقه فجأة)

دورا – ومن ذا الذي يزدري الالم يا ستيبان ؟ بل اني احبك .

ستيبان (ينظر اليها وكأنه يكلم نفسه) ساحيني يا دورا . (يلتفت بعد برهة) : فقد يكون هذا من جراء التعب والاجهاد . اعوام طويلة من النضال والقلق والمخبرين السريين والمعتقلات والسجون وآخر الكيل، هذه (يظهر آثار السياط) . فأنى اجد القوة الكافية للحب ؟ لقد بقيت لي على الاقل قوة الحقد وهذا افضل بكثير من ألا يحس المرء شيئاً .

دورا – أجل ، هذا افضل . (ينظر اليها . تدق الساعة السابعة)

ستيبان (يلتفت فجأة) – بعد هنيهة سيمر الدوق الكبير .

(تتجه دورا نحو النافذة وتلتصق بالزجاج . يسود صمت طويل . ثم تقترب العربة من بعيد ، وتمر ...)

ستيبان – لو انه وحيد ...

(تبتعد العربة . انفجار هائل . تقفز دورا فجأة وتخبيء رأسها بين يديها . صمت طويل)

ستيبان – لم يقذف بوريا قنبلته ! لقد نجح يانك ! لقد نجح ! يا لشعبنا ! يا للفرحة الكبرى !

دورا (ترتمي باكية عليه) – نحن الذين قتلناه ! نحن الذين قتلناه ! انا التي قتلته .

ستيبان (صارخاً) – من قتلنا ؟ يانك ؟

دورا – بل الدوق الكبير.

ستار

الفصل الرابع

زنزانة في برج «بوغاتشيف» في سجن « بوتركي » . صباحاً .

(عندما يرتفع الستار ، يظهر كاليايف في زنزانته وهو ينظر الى الباب. يدخل حارس من حراس السجن مع سجين يحمل دلواً)

الحارس – نظف ، واعمل بسرعة .

(يذهب ليقف قرب النافذة. يبدأ فوكا بالتنظيف دون ان ينظر الى كاليايف . صمت)

كاليايف – ما اسمك ايها الاخ؟

فوكا – فوكا .

كاليايف – أأنت محكوم عليك ؟

فوكا – يظهر .

كاليايف – ولكن ما الذي فعلته ؟

فوكا – لقد قتلت .

كاليايف – أكنت جائعاً ؟

الحارس – اخفض صوتك .

كاليايف – ماذا تقول؟

الحارس – اخفض صوتك . فأنا ادعكما تتكلمان رغم الاوامر ، فتكلم اذن بصوت منخفض وقلد العجوز .

كاليايف – هل كنت جائعاً ؟

فوكا – كلا ، بل كنت عطشاً .

كاليايف – وإذن ؟

فوكا – وإذن ، فلقد كان ثمة فأس بجانبي ، فقوضت كل شيء . ويظهر انني قتلت منهم ثلاثة . (كاليايف ينظر اليه) . ما بالك لم تعد تدعوني اخاً ايها «البارين» (١) . ما لحميتك قد خمدت ؟

كاليايف – لا ، فقد قتلت انا كذلك .

فوكا – وكم قتلت من الناس ؟

كاليايف – سأقوله لك ان اردت يا اخي . ولكن اجبني ، هل انت آسف على ما فات ؟

فوكا – كيف لا اتأسف وقد حكمت بعشرين سنة ؟ انه لثمن باهظ . عشرون سنة تخلف لك الحسرات .

كاليايف – عشرون سنة ... ادخل الى السجن وانا ابن ثلاث وعشرين ، واخرج منه ابيض الشعر .

فوكا – اوه ! قد يكون مصيرك خيراً من مصيري . ان القضاة على انواع ، منهم الحسن ومنهم الرديء . ان هذا يتوقف على ان يكون القاضي متزوجاً ام لا ، وبن . ثم انك «بارين» وليست التعرفة هي نفسها التي يطبقونها على المساكين الاشقياء . فلا بد من ان تجد لك مخرجاً .

كاليايف – لا اعتقد ذلك ، بل لا اريده ، فأنا لن استطيع احتمال الحجل طوال عشرين عاماً .

فوكا – الحجل ؟ واي خجل ؟ وبعد فهذه آراء لا تصدر الا عن « بارين » . قل لي كم شخصاً قتلت ؟

كاليايف – شخص واحد .

فوكا – ماذا تقول ؟ هذا لا شيء يستحق الذكر .

كاليايف – لقد قتلت الدوق الكبير سرج .

فوكا – الدوق الكبير ... ولكن لم هدفت الى بعيد بعيد ، أترى الى هؤلاء السادة ؟ قل لي هل الامر على هذه الخطورة ؟

كاليايف – أجل ان الامر خطير، ولكن كان لا بد من ذلك .

فوكا – ولكن لماذا ؟ هل كنت تعيش في البلاط . انها قصة امرأة أليس كذلك ؟ حسناً فعلت ما دمت ...

كاليايف – انا اشتراكي .

الحارس – اخفض صوتك .

كاليايف (بصوت مرتفع) – اني اشتراكي ثوري .

فوكا – وتلك نهاية المطاف ! وأية حاجة دفعتك لأن تكون كما قلت ؟ ما كان عليك إلا ان تبقى هادئاً حتى يسير كل شيء على ما يرام . فالأرض إنما جعلت لكم انتم « السادة ».

كاليايف – بل إنما جعلت لك انت . فهناك المزيد من البؤس والمزيد من الجرائم . وحين يخف البؤس ، لا بد من ان تقل الجرائم . ولو كانت الارض حرة المشاع ، لما كنت هنا .

فوكا – نعم ، ولا. الخلاصة ، حرة المشاع أم لا،فليس من العقل في شيء ان يشرب الانسان كأساً ازيد مما ينبغي .

كاليايف – اجل ، ليس من العقل في شيء ولكن المرء يشرب لأنه مذلول . ولا بد

---

(١) Barine ، كلمة روسية تقابلها عندنا ، بك أو آغا أو سيد.

بد من ان يأتي يوم لا يحتاج فيه المرء الى ان يشرب على الاطلاق ويتحرر فيه البشر من الحزي والهوان سواء أكانوا سادة ام عبيداً. وسنصبح اخوة جميعا ؛ وستجعل العدالة قلوبنا رقيقة شفافة. فهل تفهم ما اعني ؟

فوكا – نعم ... مملكة الله

الحارس – اخفض صوتك .

كالياييف – لا تقل هذا يا اخي . فالله لا يستطيع شيئا والعدل إنما يدخل في اختصاصنا نحن ! (يسود الصمت) ألا تفهمني ... هل تعرف اسطورة القديس ديمتريوس ؟

فوكا – لا ، لا اعرفها.

كالياييف – سأرويها لك : كان القديس ديمتريوس على موعد مع الله في البادية. وبينما كان يحث خطاه للقاء ربه، التقى بفلاح قد غرقت عجلات عربته في الموحل والطين. فأخذ القديس ديمتريوس يعينه على اخراج العربة . غير ان الطين كان كثيفاً والوحل عميقا . فكان عليه ان يعارك مع الفلاح مدة ساعة من الزمن . وعندما انتهيا من عملهما، اسرع القديس للقاء ربه. غير ان الله كان قد غادر البادية .

فوكا – والمغزى ؟

كالياييف – المغزى هو عند اولئك الذين يصلون دائماً متأخرين عن مواعيدهم، لا لشيء سوى انهم يصادفون عربات كثيرة موحلة ، واخوانا عديدين لا بد من اغاثتهم . (يتراجع فوكا) : ماذا دهاك ؟

الحارس – اخفض صوتك . وانت ايها العجوز اسرع في عملك .

فوكا – لست مطمئنا الى هذا، فكل هذه الامور ليست طبيعية.. انني لا اكاد اصدق ان يدخل السجن امرؤ من اجل اساطير قديسين وقصص عربات . ثم هناك اشياء اخرى ...

(ينفجر الحارس بالضحك)

كالياييف (ناظراً اليه) – ما هي هذه الاشياء؟

فوكا – ما جزاء الذي يقتل الدوق الكبير؟

كالياييف – الشنق

فوكا – آه !

(يخرج فوكا بينما يمعن الحارس في الضحك)

كالياييف – بل ابق ، ما الذي فعلته لك حتى تخرج ؟

فوكا – انك لم تفعل لي شيئا. وبالرغم من انك «بارين»، لا اريد ان اخدعك، فنحن نثرثر هكذا قتلا للوقت . ولكن ان تشنق فهذا شيء مريع.

كالياييف – ولماذا ؟

الحارس (ضاحكا) – هيا يا عجوز، تكلم...

فوكا – لأنك لن تستطيع ان تخنقني كأخ فأنا الذي اشنق المحكومين بالاعدام .

كالياييف – ألست محكوماً عليك بالاشغال الشاقة انت ايضاً ؟

فوكا – بل لهذا السبب بالذات، انهم عرضوا علي ان اقوم بهذه المهمة لقاء سنة يحسمونها من سجني عن كل مشنوق . أفلا ترى انه عمل رابح

كالياييف – وهكذا، كي يغفروا لك جرائمك يدفعونك لارتكاب جرائم اخرى !

فوكا – اوه ! ليست هذه بجرائم ما دمت لا اشنق الا المحكومين بالاعدام . وبعد ، فالامر سواء بالنسبة اليهم . وان اردت رأيي فيهم فهم ليسوا مسيحيين .

كالياييف – وكم مرة فعلت ذلك حتى الان ؟

فوكا – مرتين

(يتراجع كالياييف . اما الآخران فيدركان الباب ، الحارس دافعاً فوكا)

كالياييف – انك اذن جلاد.

فوكا (عند الباب) – وانت، يا « بارين » ، ما انت ؟

(يخرجان . تسمع خطوات واوامر عسكرية . يدخل سكوراتوف بادي الاناقة بصحبة الحارس)

سكوراتوف – دعنا وحدنا . عم صباحاً . ألا تعرفني . اما انا فاعرفك (يضحك) لقد غدوت شهيراً منذ اليوم أليس كذلك (ينظر اليه) هل استطيع ان اعرفك بنفسي . (كالياييف لا يقول كلمة) ألا تقول شيئاً ؟ اني لأفهم ذلك ، العزلة، هيه، انها لشديدة الوطأة . ثمانية ايام من العزلة. اما اليوم فاننا قد ازلنا عزلتك وستستقبل زائرين ، والحق اني هنا من اجل هذا الامر ، لقد بعثت لك بفوكا؛ انه لفريد أليس كذلك؟ لقد ظننت انه تهمك محادثته ، فهل انت مسرور ؟ انه لحسن ان يرى الانسان وجوهاً بشرية بعد ثمانية ايام من العزله ، ألست من رأيي ؟

كالياييف – ان كل شيء يتوقف على صاحب الوجه .

سكوراتوف – جواب عظيم محكم الاصابة فانت تعرف ما تريد (بعد برهة) : ان فهمت جيداً فهذا يعني ان وجهي لا يروق لك !

كالياييف – نعم .

سكوراتوف – لقد خيبني جوابك ولكن ما ذلك الا سوء تفاهم. فالاناقة سيئة اولاً ثم انه ليس في اقبية السجون من هو مأنوس ذو ود ، فلن يستعذب الانسان وجها، وعلى اية حال فانك لا تعرفني . ولأول وهلة قد يستثقل المرء بعض الوجوه ولكن عندما يعرف قلوب اصحابها ...

كالياييف – كفاك . من انت ؟

سكوراتوف – مدير الشرطة

كالياييف – اجير اذن

سكوراتوف – اجير لأخدمك . ولكن لو كنت مكانك لأبديت فخراً اقل. ومن يدري فقد تنتهي الى ذلك. فالبشر يبدأون عادة في ابتغاء العدل وينتهون الى تنظيم شرطة تسهر على سلطانهم ! واياً ما كان فان الحقيقة لا ترهبني ، وسأكون صريحاً معك فان امرك يهمني ، واني لأمنحك الوسائل للحصول على العفو .

كالياييف – وأي عفو تعني ؟

سكوراتوف – ألا تعرف اي عفو ، اني لأتيح لك سبيل الخلاص.

كالياييف – ومن الذي طلبها اليك

سكوراتوف – اننا لا نطلب الحياة يا عزيزي وانما نتلقاها تلقياً . ألم تعف عن احد في حياتك ؟ (بعد برهة) : ابحث في ذاكرتك جيداً .

كالياييف – اني لأرفض عفوك مرة اولى واخيرة .

سكوراتوف – استمع الي على الاقل فأنا لست عدوك رغم الظواهر . وانا اقر ان تكون على حق في ما تفكر به، الا في امر الجريمة...

كالياييف – اني لأنهاك عن استعمال هذه الكلمة.

سكوراتوف (ناظراً اليه) – آه ! ان الاعصاب واهنة أليس كذلك ؟ (بعد برهة) : صدقني ، انا راغب في معونتك.

كالياييف – في معونتي ؟ انني على استعداد لأن ادفع ما لا بد منه ولكني لن احتمل منك ان ترفع الكلفة معي . دعني وشأني .

سكوراتوف – ان الاتهام الذي يثقل كاهلك ...

كالياييف – بل اصر على ان تقوم خطأك .

سكوراتوف – ماذا يريد سيدي ؟

كالياييف – قلت عليك بتقويم خطأك فأنا اسير حرب لا متهم .

سكوراتوف – لنفرض ذلك . ولكن الا تقر معي ان هناك خسائر ؟ لندع جانباً الدوق الكبير والسياسة ، فهناك على الاقل موت رجل ، وأي موت !

كالياييف – لقد قذفت القنبلة على طغيانكم ، لا على رجل .

سكوراتوف – من غير شك، ولكن الرجل هو الذي تلقاها. وهذا لم يصلح من شأنه ابداً... وحين عثر على الجسد كان الراس ينقصه ، لقد

اختفى الرأس ! اما سائر اعضاء الجسد فلم يعرف منها الا ذراع وقسم من الساق او يكاد .

كالياييف – لقد نفذت قرار الحزب .

سكوراتوف – قد يكون ، قد يكون ، اننا لا نؤاخذك على القرار ، فما يعني قرار حزب ؟ انها كلمة يمكن ان تناقش ليالي بطولها وانما نأخذ عليك ... كلا ، فقد لا تحب هذه الكلمة . انقل عمل هاو مضطرب بعض الشيء ، ولكن نتائجه لا مراء فيها ؛ ذلك ان الناس جميعاً استطاعوا مشاهدتها . سل الدوقة الكبيرة . لقد كانت هناك دماء . أتفهم، دماء غزيرة .

كالياييف – صه .

سكوراتوف – لا بأس . وددت ان اقول فحسب انك اذا اصررت على التحدث عن قرار الحزب وعلى القول بان الحزب ، الحزب وحده هو الذي حاكم وهو الذي نفذ ، وبان الدوق الكبير لم يقتل بقنبلة بل قتل بفكرة، فلن تكون اذن بحاجة الى العفو . وافترض مع ذلك اننا عدنا الى الواضح البديهي في هذا الامر، افرض انك انت الذي نسفت رأس الدوق الكبير ، ألا تتغير المشكلة من اساسها ؟ إذ ذاك تكون بحاجة الى العفو . تأكد انني اريد ان اعينك عليه ، بدافع من الانس والود المحض (يبتسم) ما حيلتي ، انني لا اهتم بالافكار والمباديء، وانما اهتم بالاشخاص.

كالياييف (منفجراً) – ان شخصي لأرفع منك ومن اسيادك ، انكم تستطيعون ان تقتلوني لا ان تحكموا علي ... انا اعرف إلام تقصد . انك تبحث عن نقطة ضعف في، وتنتظر مني موقفاً مخزيا ودموعاً وندامة ولكنك لست بحاصل على شيء من هذا . ان ما انا عليه لا يعنيك اطلاقا . ان ما يعنيك إن هو الا حقدنا ، حقدي وحقد اخواني ، ونحن نضعه في خدمتك .

سكوراتوف – الحقد ، انه ايضاً فكرة . اما الذي لا يمكن ان يكون فكرة ، فانما هو القتل وعواقبه بالطبع. اعني الندم والعقاب . انما نحن هنا في صميم الموضوع . والحق اني من اجل هذا اقمت نفسي شرطيا ، ولكي اكون دوماً في صميم الاشياء . ولكنك لا تحب المسارة (بعد برهة ، يقترب منه ببطء) كل ما اردت قوله هو انه ينبغي لك الا تظهر وكأنك تحاول تناسي رأس الدوق الكبير . فاذا حسبت حسابه ، فان الفكرة لا تفيدك بعد شيئا ، بل قد تخجل مما فعلت مثلاً ، بدلا من ان تفخر بما عملت. وما ان يستولي عليك الخجل حتى تصبو الى ان تعيش لتصلح ما افسدت . ان اهم ما في الامر أن تعتزم الحياة

كالياييف – وإن انا اعتزمتها ؟

سكوراتوف – فالعفو عنك وعن رفاقك

كالياييف – هل اعتقلتموهم ؟

سكوراتوف – كلا ... ولكن اذا انت قررت ان تعيش ، فاننا سنعتقلهم للحال .

كالياييف – وهل افهم جيداً ما تعني ؟

سكوراتوف – بكل تأكيد . ولكن تريث قبل ان تغضب وفكر ملياً . انك لا تستطيع تسليمهم من وجهة نظر المبدأ ، اما من حيث البداهة والحقيقة فعلى العكس من ذلك ، انك تقدم لهم خدمة كبيرة ، انك لتجنبهم مشاكل جديدة ، وفي الوقت نفسه تحول بينهم وبين حبل المشنقة ، وفوق هذا كله فانك تنال راحة البال . ألا ترى انها صفقة من ذهب كيفما قلبتها. (يسكت كالياييف) : الا تجيب ؟

كالياييف – سيجيبك اخواني عما قليل .

سكوراتوف– جريمة اخرى أليس كذلك، الحق انها موهبة عندكم للاجرام ! ان مهمتي قد انتهت ، ولكن قلبي حزين ، فأنا اراك متشبثاً بافكارك ومبادئك وليس بوسعي ان افصلك عنها.

كالياييف – وليس بوسعك ان تفصلني عن اخواني كذلك .

سكوراتوف – الى اللقاء (يتظاهر بالخروج ولا يلبث ان يعود) : لماذا والحالة هذه، وفرت الدوقة الكبيرة وابني اخي الدوق ؟

كالياييف – ومن قالها لك ؟

سكوراتوف – لقد كان مخبرك يخبرنا ايضا ولو جزئياً على الاقل ... ولكن لم وفرتهم ؟

كالياييف – ان هذا لا يعنيك ...

سكوراتوف (ضاحكا) – أتظن ذلك ؟ ولكني سأقول لك انا لماذا وفرتهم : ان فكرة ما تستطيع ان تقتل دوقاً كبيراً ، ولكن من العسير عليها ان تفضي الى قتل اطفال صغار. هذا ما اكتشفته. وهنا يطرح سؤال : اذا لم تستطع الفكرة ان تقتل الاطفال فهل تستحق ان يقتل من اجلها دوق كبير ؟ (يهم كالياييف بالجواب): انتظر ، لا تجبني ، اجل لا تجبني ! فانك ستجيب الدوقة الكبيرة .

كالياييف– الدوقة الكبيرة ؟

سكوراتوف – اجل، انها تريد ان تراك ولقد جئت خصيصاً كي اتأكد من ان هذه المحادثة ممكنة. وانها لكذلك . ومن يدري فهي توشك ان تحملك على تغيير رأيك . ان الدوقة الكبيرة مسيحية ، وان النفس هي ميدان اختصاصها ! (يضحك) .

كالياييف– لا اريد رؤيتها .

سكوراتوف – متأسفاً ، انها تصر على ذلك . ومهما يكن من امر ، فانك مدين لها ببعض الرعاية ، ويقال ايضاً، إنها منذ وفاة زوجها باتت لا تملك جميع قواها العقلية . لذلك لم تشأ معاكستها (عند الباب) اذا غيرت رأيك فلا تنس ما عرضته عليك . سأعود حتما (ينتظر برهة ويصغي) : هذه هي . عليك باستقبال الدين بعد الشرطة ! لا ريب في اننا ندللك كثيراً ، ولكن لا بد من جميع هذه الامور . تصور الله بدون السجون . يا لوحشته !

(يخرج ، تسمع اصوات واوامر عسكرية، تدخل الدوقة الكبيرة وتبقى صامتة بلا حركة . الباب مفتوح ...)

كالياييف – ماذا تريدين ؟

الدوقة الكبيرة (مسفرة عن وجهها) – انظر . (يسكت كالياييف) : ان كثيراً من الاشياء تموت بموت انسان .

كالياييف – كنت اعرف هذا .

الدوقة الكبيرة (دون ما تكلف ، ولكن بصوت موهون) ان القتلة لا يعرفون ذلك ، والا فكيف يقدمون على القتل ؟ (صمت .)

كالياييف – لقد رأيتك ، فأود الآن ان ابقى وحيداً .

الدوقة الكبيرة – كلا، بل بقي علي ان انظر اليك ايضا (يتراجع ، تجلس الدوقة الكبيرة وكانها منهوكة القوى) : لن استطيع البقاء وحيدة بعد اليوم . كان يستطيع ان يرى ألمي ، اذا ما تألمت قبلا . إذن فقد كان الالم امراً جيداً اذ ذاك . اما اليوم ... لا ، لن استطيع البقاء وحيدة بعد الآن ، بل لن استطيع السكوت... من تريد ان اكلم ؟ الآخرون ؟ ... انهم لا يعرفون... انهم يتظاهرون بالحزن والاسى. فهم يحزنون ساعة او ساعتين ، ثم يذهبون فياكلون وينامون . ينامون خاصة .. يخيل لي انك تشبهني لا محالة . فانت لا تنام ، وانا متاكدة من ذلك . ولكن مع من تريد ان اتحدث عن الجريمة ، ان لم اتحدث مع القاتل ؟

كالياييف – اية جريمة ؟ فانا لا اذكر الا عملا عادلاً .

الدوقة الكبيرة – الصوت ذاته ! ان لك صوتاً هو عين صوته . فجميع الرجال يتخذون النبرة نفسها عندما يتكلمون عن العدل . لقد كان يقول : « ان هذا لعدل ! » وكان على الباقين ان يصمتوا . ومن يدري ، فلعله كان مخطئاً ، ولعلك مخطىء انت ...

كالياييف – بل كان يجسد الظلم المطلق ،

الظلم الذي ما برح الشعب الروسي يئن تحت نيره منذ قرون . ومن اجل ذلك كان يحصل على الامتيازات . وحتى لو انني كنت مخطئاً ، فان السجن والموت هما اجرتي .

الدوقة الكبيرة – اعرف انك تتألم . اما هو فقد قضيت عليه .

كالياييف – لقد مات على حين غرة منه ، وموت كهذا ليس امراً ذا بال .

الدوقة الكبيرة – مـا تقول ؟ (بصوت منخفض) : حقاً ، لقد اقتادوك للحال . يبدو انك كنت تخطب في رجال الشرطة ، واني لأفهم ذلك ، فان هذا لا بد وان يعينك في محنتك . اما انا فقد وصلت بعد ثوان معدودات من الحادث . لقد رأيت فوضعت على محمل جميع ما كنت استطيع جره . يا لغزارة الدماء ! (بعد برهة) : وكان ثوبي ابيض اللون ...

كالياييف – اسكتي !

الدوقة الكبيرة – ولماذا اسكت ، وأنا لا اقول سوى الحقيقة . هل تدري ما كان يفعل قبل ساعتين من موته ؟ كان نائماً على مقعد وثير ، وقدماه على كرسي ... كما كان ينام دائماً . كان نائماً ، وانت كنت تترقبه في ظلمة ذلك المساء القاسي (تبكي) اما الان ، فساعدني (يتراجع متصلباً) انك ما زلت شابا ، فلا يمكنك ان تكون شريراً .

كالياييف – لم يتسع لي الوقت لأكون شابا .

الدوقة الكبيرة – ولماذا تتصلب هكذا ، ألست تشفق على نفسك ابداً ؟

كالياييف – لا .

الدوقة الكبيرة – انـك مخطىء . فالرفق بالنفس يروح عنها قليلا . امـا انا ، فلن ارفق إلا بنفسي (بعد برهة) : اني متألمة . كان عليك ان تقتلني معه بدلا من ان توفرني .

كالياييف – لم اوفرك انت وانما الطفلين اللذين كانا معكما .

الدوقة الكبيرة – اعرف ذلك ... انني لم اكن احبهما كثيراً (بعد برهة) : انهما ابنا أخي الدوق الكبير . ألم يكونا آثمين كعمهما ؟

كالياييف – كلا .

الدوقة الكبيرة – ولكن هل تعرفهما ؟ ان للطفلة قلباً قاسياً . انها ترفض ان تحمل هي نفسها ما تتصدق به على البائسين ، وهي تخـاف ان تسهم . أليست هي ظالمة ؟ بلى ، انها لظالمة . أما هو ، فقد كان يحب الفلاحين على الاقل ، وكان يشمل معهم ، ومع ذلك فقد قتلته . فلا بد وان تكون ظالماً انت ايضاً . لقد اقفرت الارض .

كالياييف – ان جميع ما تقولين غير مجد ، فانت تحاولين ان تحطي من عزيمتي وان توئسيني . انك لن تنجحي في محاولتك هذه فدعيني .

الدوقة الكبيرة – الا ترغب في الصلاة معي وفي ان تتوب الى الله؟... في الصلاة لن نكون وحدنا ابداً .

كالياييف – دعيني اتهيأ للموت . فاذا لم امت كنت اذ ذاك من القاتلين .

الدوقة الكبيرة (تنتصب) – تموت ؟ تريد ان تموت ؟ كلا . (تمشي نحو كالياييف وهي شديدة الانفعال) عليك ان تعيش ، وان ترتضي بان تصبح في عداد القاتلين . أو لم تقتله ؟ ان الله وحده هو الذي يبرر اعمالك .

كالياييف – ولكن اي إله ؟ الهي ام الهكم ؟

الدوقة الكبيرة – بل إله الكنيسة المقدسة .

كالياييف – لا دخل للكنيسة ها هنا .

الدوقة الكبيرة – انها تخدم معلماً بلا هو ايضاً حياة السجون .

كالياييف – لقد تبدلت الازمنة كثيراً منذ ذلك الحين ، ولقد احتارت الكنيسة المقدسة ما اختارته من ميراث معلمهـا .

الدوقة الكبيرة – اختارت ، ماذا تعني بها ؟

كالياييف – لقد اختصت نفسها بالرحمة والغفران وتركت لنا نحن امر العنـاية بممارسة الاحسان والصدقة .

الدوقة الكبيرة – ومن « نحن » ؟

كالياييف (صارخاً) – جميع من تعلقونهم على اعواد المشانق (صمت)

الدوقة الكبيرة (بهدوء) – ولكني لست عدوتك !

كالياييف (يائسا) – بل انت عدوتي كجميع هؤلاء الذين يمتون الى عنصرك وعشيرتك بصلة . وهناك احفر وابشع من ان يصبح المرء مجرماً ، وهو ان نكره على الاجرام انساناً لم يخلق له . انظري الى وجهي مليا ، اقسم لك بانني لم اخلق للجريمة

الدوقة الكبيرة – لا تخاطبني كأنك تخاطب عدواً لك . انظر (تذهب وتغلق الباب) انني الجأ اليك (تبكي) : ان الدماء تفصل بيننا ، ولكنك تستطيع ان تجتمع بي في ذات الله ، بل في مكان المصيبة بعينه . صل معي على الاقل .

كالياييف – انني ارفض ذلك (يمشي نحوها) وانا لا اشعر نحوك الا بالرأفة ، وقد مست اوتار قلبي ، فلا بد وانك ستفهمين موقفي بعد الان ، لأنني لن اخفي عنك شيئا . انني لن اعتمد بعد مطلقاً على لقاء ربي ، ولكن اذ اموت فسأكون دقيقاً في الموعد الذي ضربته مـع اولئك الذين احبتهم ، اخوتي الذين يذكرونني في هذه اللحظة بالذات ، فصلاتي ستكون خيانة لهم

الدوقة الكبيرة – وماذا تعني بذلك ؟

كالياييف (بحماس بالغ) – لا شيء ، سوى انني سأصبح سعيداً . ان امامي بعد نضالاً طويلا وسأقوم به . ولكن حين يصدر الحكم وتحين ساعة التنفيذ ، وانا في ظل المشنقة ، فسأنصرف عنك وعن هذا العالم الكريه ، واسلم نفسي للحب الذي يملأ كياني . اتراك تفهمينني ؟

الدوقة الكبيرة – ليس من حب بعيد عن الله

كالياييف – بلى ، ان هناك حب المخلوقات

الدوقة الكبيرة – ان المخلوقات لحقيرة فهل هناك الا ان تباد او يغفر لها ؟

كالياييف – نعم ، ان يموت الانسان معها

الدوقة الكبيرة – لا يموت الانسـان الا وحيداً . لقد مات هو ايضاً وحيداً .

كالياييف (يائساً) – يموت معها ! ان على الذين يتحابون اليوم ان يموتوا معاً اذا كانوا يحرصون عـلى ان يجتمعوا . فالظلم يفرق ، وكذلك العـار والالم والاذى الذي يلحقه الانسان بالآخرين ، والجريمة ايضاً تفرق بيننا . فالحياة اذن تعذيب لأن الحياة تفرق ...

الدوقة الكبيرة – ان الله يجمع

كالياييف – لا على هـذه الارض ، وان مواعيدي هي على هذه الارض بالذات

الدوقة الكبيرة – ان هي الا مواعيد الكلاب انوفها في الرغام ، تتشمم دائما ولكنها ابداً خائبة .

كالياييف (ملتفتاً نحو النافذة) – ساتأكد من ذلك بعد حين . (بعد برهة) : ولكن ألا نستطيع ان نتصور كائنين زاهدين في الفرح يتحابان في الالم من غير ان يكون في استطاعتهما ان يضربا موعداً للقـاء الا في الالم ؟ (ينظر اليها) الا نستطيع ان نتصور ان حبلا واحداً يمكن ان يجمع بين هذين الكائنين ؟

الدوقة الكبيرة – واي حب فظيع هـذا الذي تعني ؟

كالياييف – انت وذووك لم تسمحوا لنـا قط بسواه .

الدوقة الكبيرة – وانا ايضاً كنت احب ذاك الذي قتلته .

كالياييف – لقد ادركت ذلك . ولذا تريني اغفر لك الاذى الذي الحقته بي انت وذووك ، (بعد برهة) : والآن دعيني وشأني . (صمت طويل .)

الدوقة الكبيرة (منتصبة) – سادعك وانصرف ،

ولكن ، اعلم الان ، انني اتيت لزيارتك ، كيما اردك الى الله . غير انني اراك تريد ان تحاكم نفسك وان تنجو بمعزل عنه. ولكنك لن تستطيع ذلك فالله وحده قادر عليه، ان بقيت على قيد الحياة . تأكد انني سأطلب العفو عنك .

كالياييف – اضرع اليك ألا تفعلي ، دعيني اقضي او احقد عليك حتى الموت

الدوقة الكبيرة (عند الباب) – بل سأطلب العفو عنك من الله ومن الناس

كالياييف – لا ، لا ، اني امنعك عن ذلك . (يركض نحو الباب فيجد عنده فجأة سكوراتوف. يتراجع كالياييف ويغمض عينيه . سكون. ينظر الى سكوراتوف من جديد)

كالياييف – كنت بحاجة اليك

سكوراتوف – ان هذا ليفرحني ، فما حاجتك الي ؟

كالياييف – كنت بحاجة للازدراء من جديد .

سكوراتوف – مع الاسف ، كنت آتياً لآخذ الجواب .

كالياييف – انه في حوزتك الان

سكوراتوف (مغيراً لهجته) – لا لم احصل عليه بعد . استمع جيداً . لقد سهلت هذه المقابلة مع الدوقة الكبيرة ، لأستطيع نشر النبأ غداً في الصحف. وستكون الرواية صحيحة، الا في نقطة واحدة ، وستتضمن الاعتراف بتوبتك. وهكذا سيظن رفاقك انك قد خنتهم

كالياييف (بهدوء) – ولكنهم لن يصدقوا الرواية.

سكوراتوف – لن اوقف نشر الخبر الا اذا انتقلت الى الاعترافات، وامامك الليل بطوله كيما تقرر (يتجه نحو الباب) .

كالياييف (باعلى صوته) – لن يصدقوا الرواية.

سكوراتوف (ملتفتاً) – ولم لا ؟ الم يرتكبوا خطيئة ما في حياتهم ؟

كالياييف – ولكنك لا تدرك مدى حبهم .

سكوراتوف – كلا ، ولكنني اعرف انه يستحيل على المرء ان يؤمن بالاحاء طيلة ليل بكامله من غير ان تخور قواه ولو دقيقة واحدة. وسأترقب هذا الخور، (يغلق من دونه الباب) : لا تتعجل الامور ، فأنا جد صبور .

(يظلان وجهاً لوجه.)

ستار

الفصل الخامس

منزل آخر، غير انه من الطراز عينه. بعد اسبوع . ليلا .

(سكون . دورا تذرع الغرفة طولاً وعرضاً)

انتكوف – استريحي يا دورا .

دورا – انني مقرورة .

انتكوف – تعالي واستلقي هنا. تدثري بغطاء.

دورا (مستمرة في المشي) – ان الليل لطويل . كم انا مقرورة يا بوريا . (يقرع الباب طرقة ثم طرقتين، يذهب انتكوف ليفتح، يدخل ستيبان وفوانوف الذي يمشي نحو دورا ويعانقها فتشده الى صدرها) الكسي !

ستيبان – يقول اورلوف انه من المحتمل ان تنتهي هذه الليلة. فان جميع الضباط الذين هم خارج مراكزهم قد استدعوا، ولذا فسيكون حاضراً .

انتكوف – واين ستلقاه ؟

ستيبان – سينتظرنا، فوانوف وانا، عند المطعم الكائن في شارع سوفيسكايا .

دورا (تجلس منهوكة) – هذه الليلة اذن يا بوريا .

انتكوف – لم يفتنا شيء بعد، فالقرار متعلق بالقيصر .

ستيبان – القرار يتعلق بالقيصر اذا كان يانك قد طلب العفو .

دورا – انه لم يطلبه .

ستيبان – ولكن فيم اذن كانت مقابلته للدوقة الكبيرة ، اذا لم تك للعفو عنه ؟ لقد اشاعت في كل مكان انه قد تاب ، فكيف يمكننا معرفة الحقيقة ؟

دورا – اننا نعرف ما قاله امام المحكمة ، وما كتبه لنا . ألم يقل يانك انه يأسف لأنه لا يملك غير حياة واحدة ، اذن لرماها متحديا في وجه الاستبداد ؟ فهل يمكن لرجل قال هذا ان يستجدي العفو عنه ، أمن الممكن ان يتوب ؟ كلا ، لقد كان وما يزال يريد الموت . ان ما فعله لا يمكن نكرانه .

ستيبان – لقد اخطا بمقابلته الدوقة الكبيرة .

دورا – هو وحده من يحكم على ذلك ...

ستيبان – ما كان عليه ان يراها ، هذا ما يقضي به نظامنا .

دورا – ان نظامنا هو ان نقتل ليس إلا . اما الآن فانه حر ، انه حر اخيراً ...

ستيبان – لم يصبح بعد حراً .

دورا – بل هو حر ، وله الحق في ان يفعل ما يريد وهو على اهبة الموت ، ذلك انه سوف يموت فيمكنكم ان تفرحوا !

انتكوف – دورا !

دورا – اجل ، اجل ! اي انتصار لو عفي عنه ! اذن لكان في ذلك برهان ساطع على ان الدوقة الكبيرة قد اشاعت الحقيقة بانه تاب وخان. اما اذا قضى فانكم بالعكس ستثقون به ، وعندها تستطيعون المضي في محبته . (تنظر اليهم) يالحبكم كم هو باهظ الثمن !

فوانوف (شائراً نحوها) – لا يا دورا ، اننا لم نجعله موضع شكنا مطلقاً .

دورا (وهي تروح وتغدو) – نعم ... قد يكون هذا صحيحاً... سامحوني . ولكن ما الذي يهمنا بعد كل ذلك ! فاسوف نعرف هذه الليلة... آه يا الكسي ! مسكين انت ، ماذا اتيت تفعل ها هنا ؟

فوانوف – اتيت لأحل مكانه. كنت ابكي وكنت فخوراً وانا اقرأ خطابه في المحكمة. وعندما قرأت: « ان الموت الذي اطلب سيكون بمثابة احتجاجي الصارخ على عالم مليء بالدموع والدماء ... » اخذت ارتعد ارتعاداً .

دورا – عالم مليء بالدموع والدماء ... لقد قالها ... اجل ، لقد قالها .

فوانوف – لقد قالها يا دورا ، ويا لها من شجاعة ان يقولها ! ثم صيحته اخيراً: « ان كنت جديراً حقاً ببلوغ صعيد الاحتجاج الانساني على اساليب العنف فليتوج الموت اعمالي بطهارة الفكرة » فلما قرأتها ، عزمت على المجيء :

دورا (محبثة رأسها بين كفيها) – لقد كان يرغب حقاً في الطهارة ، ولكن يا له من تتويج رهيب !

فوانوف – لا تبكي يا دورا، فقد طاب الينا جميعاً ألا يبكي احد موته . وانني لأفهمه الآن حق الفهم ، ولا يمكنني ان اشك فيه . لقد تألمت طويلا لأنني كنت جباناً ، ولكنني القيت بعد ذلك القنبلة في مدينة تفليس. اما الان فلست اختلف عن يانك في شيء ، وعندما علمت بالحكم عليه لم تكن في رأسي الا فكرة واحدة : ان آخذ مكانه ما دمت لم استطع ان اكون الى جانبه في محنته .

دورا – ولكن من ذا الذي يستطيع ان يأخذ مكانه هذه العشية ؟ فلسوف يكون وحيداً يا الكسي .

فوانوف – ينبغي لنا ان نؤازره بفخرنا ، كما يؤازرنا هو بالمثل الذي ضربه فلا تبكي يا دورا

دورا – انظر ، ان عيني جافتان ، ولكن

أن أكون معتزة ، كلا ، فليس بوسعي ان اعتز بعد الآن !

ستيبان – لا تسيئي الحكم علي يا دورا . فأنا أتمنى إن يبقى يانك على قيد الحياة . فنحن أحوج ما نكون الى رجال أمثاله .

دورا – أما هو ، فلا يتمنى ان يبقى حياً . وعلينا ان نشتهي موته .

أننكوف – يالك من مجنونه !

دورا – أجل ، علينا ان نشتهي موته ، فانا أدرى بقلبه – انه لن يعمره السلام إلا بالموت. إي نعم ، فليمت ! (بصوت منخفض) : فليمت، ولكن سريعاً .

ستيبان – أنا ذاهب يا بوريا . تعـــال معي يا ألكسي ، فأورلوف ينتظرنا .

أننكوف – إذهبا ، ولا تبطئا .

(يتجه ستيبان وفوانوف نحو الباب. وينظر ستيبان الى جهة دورا.)

ستيبان – سنحاول ان نعلم . اسهر عليها .

(دورا أمام النافـــذة وانكوف ينظر اليها) .

دورا – آه يابوريا ! الموت ، المشنقـــة ! الموت ايضاً ، آه يابوريا !

أننكوف – إي اختاه ... ولكن ليس من حل آخر .

دورا – لا تقل هـــذا يابوريا . إذا كان الموت هو الحل الوحيد ، فلقـــد ضللنا السبيل القويم . انما السبيل القويم هو الذي يفضي الى الحياة ، الى الشمس . اذ لا يمكن للانسان ان يظل مقروراً أبداً .

أننكوف – هذه الطريق تفضي ايضاً الى الحياة ، حياة الآخرين . ان روسيا ستعيش ، وأولادنا سيحيون . اذكري ماكان يقـــوله يانك : « ستصبح روسيا رائعة حقاً . »

دورا – الآخرون ، صغـــارنا ... أجل سيحيون ... ولكن يانك في السجن ، والحبل بارد . انه سيموت ، بل لعله قد مات لكي يعيش الآخرون . اي بوريا ! وما الضمان في ان يعيش الآخرون ؟ واذا مات هو عبثاً ؟...

أننكوف – دعك من هذا .

(صمت)

دورا – يا للبرد ، مع انه الربيع ... اعرف ان في ساحة السجن اشجاراً ، ولا بد ان يراها.

أننكوف – كفاك معرفـــة ، كفاك ارتعاداً .

دورا – أشعر ببرد فارس ، حتى لأخـــالني قد مت . (بعد برهة) : ان كل ذلك يدفعنا نحو الشيخوخة بخطى اسرع . عبثاً نحاول ان نعيد طفولتنا الاولى يا بوريا. ان الطفولة تولي ، عند اول حادث قتل . يكفي ان اقذف القنبلة حتى تنهار في لحظة حياة برمتها . اجل ، ان بوسعنا ان نموت بعد اليوم : فلقد جبنا آفاق الانسان .

أننكوف – اذن فلنمت مناضلين ، كما يفعل الرجال .

دورا – لقد عملتم باسرع مما كان ينبغي، فاستم بعد رجالاً .

أننكوف – ولكـــن لا تنسي ان البؤس والشقاء يسرعان ايضاً . ليس هناك مكان للصبر والنضج في هذا العالم . ان روسيا على عجل .

دورا – أعرف هذا . لقد اخذنا على عاتقنا شقاء العالم . وهو ايضاً قد حمل نفسه هذا الشقاء. يا للشجاعة ! غير انني في بعض الاحيان ، افول: انها كبرياء لا بد من ان تعاقب .

أننكوف – لكنها كبرياء ، ندفع ثمنها من حياتنا . ولا يمكن لأحد ان يتجاوزنا في ذلك . فهي كبرياء لنا الحق فيها .

دورا – هل نحن واثقون من ان احداً لن يتجاوزنا ؟ انني حين استمع الى ما يقوله ستيبان يعتريني الخوف أحيـــاناً . ولكن من يدري ؟ فربما جاء اخرون واتخذونا ذريعة للقتل من غير ان يدفعوا الثمن من حياتهم .

أننكوف – ذلك هو الجبن بعينه يا دورا .

دورا – من يدري ؟ بل ربما كان هذا ايضاً هو العدالة، ولن يجرؤ احد آنذاك على مواجهتها.

أننكوف–دورا (تسكت دورا) هل اعتراك الشك يا دورا ؟ اني لأنكرك .

دورا – انني مقرورة . وانا أفكر فيه وهو يأبى ان يرتجف كي لا يبدو انه خائف .

أننكوف – ماذا دهاك ؟ هل تخليت عنا يا دورا ؟

دورا – (ترتمي عليه) كلا يا بوريا ، انني معكم وسأبقى معكم حتى النهاية ! فأنا أمقت الطغيان، واعلم في الوقت نفسه ان ليس امامنا سوى هذا السبيل . ولكنني اخترت ذلك بقلب فرح ، واني لامضي فيه بقلب حزين . هذا هو الفرق يا بوريا لقد غدونا سجناء .

أننكوف–ان روسيا باسرها سجينة. ولسوف ندمر جدران سجنها ونبعثره في الفضاء .

دورا – هات القنبلة فقط وسترى، ولأتقدمن وسط الاتون، من غير ان تتزعزع مني الخطى. ما أسهل ذلك ! انه اسهـــل بكثير ان يقضي الانسان جزاء متناقضاته ، من ان يحياها. قل لي يا بوريا ، هل أحببت ، هل عانيت الحب ؟

أننكوف – نعم لقد احببت ، ولكن مر زمن بعيد حتى أخالني قد نسيته .

دورا – وما مدى هذا الزمن البعيد ؟

أننكوف – اربع سنوات .

دورا – ومتى ابتدأت بقيادة المنظمة ؟

أننكوف – منذ اربع سنوات ايضاً (بعد قليل) اما اليوم فاني اقصر حبي على المنظمة فقط .

دورا (متجهة الى النافذة) – ان احب، نعم، ولكن ان احَب !... لا، لا بد من السير. ان بود المرء لو يقف . ســـيري يا دورا ! سيري وحيدة ! ان بود المرء انيبسط ذراعيه ويستسلم. ولكن الظلم القـذر يلتصق بنا كالغراء . سيري وهكذا نرانا محكوماً علينا بان نكون اكبر من انفسنا. البكائات، الوجوه: تلك هي التي يود المرء ان يجبها . فالحب اولى من العدالة ! كلا ، بل لا بدّ من السير باتجاه واحـــد . سيري يا دورا ! سر يا يانك (تبكي) اما هو، فان الهدف يدنو منه .

أننكوف (يضمها الى صدره)– لا بد ان يشمله العفو .

دورا (ناظرة اليه) – لماذا تراوغ ؟ انت تعلم جيداً ان لا . انت تعلم جيداً ان العفو يجب ألا يشمله . (يشيح بنظره عنه.) ربما اخرجوه الآن الى ساحة السجن . وما ان يظهر للناس ، حتى يغرقوا في رهبة الصمت . والشيء المهم ، ألا ينال منه البرد . هل تدري يا بوريا كيف يشنقون ؟

أننكوف – بطرف من حبل ! كفى يا دورا !

دورا (مصرة على الاستمرار) – ويقفز الجلاد على كتفيه ، فتكسر عنقه . الا ترى انه شيء رهيب ؟

أننكوف– اجل ، انه رهيب حقاً من جهة، ولكن من جهة ثانية ، هي السعادة بعينها .

دورا – السعادة ؟

أننكوف – ان يشعر بيد انسان فوق عنقه قبل ان يموت . (ترتمي دورا في مقعد وثير . (سكون) سوف نرتاح قليلاً وينبغي ان نذهب بعد ذلك .

دورا (شاردة) – نذهب ؟ ولكن مع من؟

أننكوف – معي ، يا دورا .

دورا (تنظر اليه) – نذهب ! (تلتفت نحو النافذة.) هوذا الفجر قد اطل . لا بد ان

بانك قد مات الآن .

انكوف – انني اخوك يا دورا .

دورا – اجل ، انت اخي ، وكلكم اخوتي الذين احبهم . (صوت المطر . يطلع النهار . تتمتم دورا بصوت منخفض .) ولكن اي مذاق مر يكون للاخاء احياناً !

(يقرع الباب فيدخل فوانوف وستيبان. يتسمر الجميع في وقفتهم ؛ تتخاذل دورا ولكنها تتدارك نفسها بجهد ظاهر .)

ستيبان (بصوت منخفض) – ان بانك لم يخن .

انكوف – هل تمكن اورلوف من مشاهدة موته ؟

ستيبان – نعم .

دورا (متقدمة بثبات) – اجلس يا ستيبان، وقص علينا .

ستيبان – وما جدوى ذلك ؟

دورا – حدثني عن كل شيء . من حقي ان اعرف كل شيء . اني ألح عليك ان تحدثني ، وان تحدثني بالتفصيل .

ستيبان – لن استطيع . ثم ان علينا الآن ان نرحل .

دورا – كلا ، لا بد من ان تتكلم . متى اخبروه ؟

ستيبان : في العاشرة مساء .

دورا – ومتى شنقوه ؟

ستيبان – في الثانية صباحاً .

دورا – هل تركوه ينتظر مدة اربع ساعات؟

ستيبان – نعم ، ومن غير ان ينبس بكلمة . ثم جرى كل شيء بسرعة فائقة . والآن ، انتهى الأمر .

دورا – اربع ساعات من غير كلام ؟ قل لي ماذا كان يرتدي ؟ هل كان عليه معطفه المخملي ؟

ستيبان – لا ، كان في حلة سوداء ، من غير معطف، وكان مرتدياً أيضاً قبعته السوداء .

دورا – كيف كان الطقس آنذاك ؟

ستيبان – كان الظلام دامساً ، وكان الثاج وسخاً ، ثم أحاله المطر الى طين لزج .

دورا – هل كان يرتعد؟

ستيبان – لا .

دورا – هل التقت نظراته مع نظرات اورلوف ؟

ستيبان – لا

دورا – إلام كان ينظر ؟

ستيبان – الى الناس اجمعين ، دون ان يرى شيئاً ، على ما قال اورلوف.

دورا – وبعد ذلك ؟ حدثني ، ماذا جرى بعد ذلك ؟

ستيبان – دعك يا دورا .

دورا – كلا ، بل اريد ان اعرف . فان موته هو ملكي على الاقل .

ستيبان – لقد تلوا عليه الحكم .

دورا – وماذا كان يفعل في تلك الاثناء ؟

ستيبان – لا شيء . وانما نفض ساقه مرة لينزع عن حذائه قليلاً من الوحل .

دورا (تمسك برأسها) – قليلاً من الوحل !

انكوف (فجأة) – وكيف عرفت ذلك ؟ (يلزم ستيبان الصمت) وهل سألت اورلوف عن جميع التفاصيل ؟ ولماذا ؟

ستيبان (يشيح ببصره) – كان بيني وبين بانك شيء ما .

انكوف – وما ذلك الشيء ؟

ستيبان – كنت احسده .

دورا – وماذا بعد يا ستيبان ، ماذا ؟

ستيبان – لقد جاءه الاب فلورانسكي وقدم له المصلوب ، فرفض ان يلثمه وصاح قائلا : « سبق ان قلت لكم ، انني قطعت الاسباب بيني وبين الحياة منذ امد ، وقد صفيت حسابي الآن مع الموت » .

دورا – وكيف كانت نبرات صوته ؟

ستيبان – هو نفسه . الا انه كانت تنقصه الحمية واللجاجة اللتان تعهدينهما فيه .

دورا – وهل كانت تبدو عليه السعادة ؟

انكوف – هل انت مجنونة ؟

دورا – حتماً، وبكل تأكيد ، لا بد انه كان يبدو سعيداً . إذ انه كان يكون ظلماً ما بعده ظلم ألا يتلقى السعادة مع الموت في آن واحد، ما دام قد رفض السعادة في الحياة لكي يستعد احسن استعداد للتضحية . لقد كان سعيداً ، وقد مشى بخطوات ثابتة وهادئة نحو المشنقة، أليس كذلك؟

ستيبان – لقد مشى كما تصفين . وكان ينبعث من ضفة النهر آنذاك لحن منخفض برفقة اكورديون . وفي تلك اللحظة بالذات ، سمع نباح كلاب ...

دورا – وعند ذاك صعد الى المشنقة ...

ستيبان – اجل ، عند ذاك صعد . ولفه الليل بجناح دامس . ولم يكد الناس يتبينون الكفن الذي ارخاه عليه الجلاد .

دورا – وبعد ذلك ؟ ماذا جرى بعد ذاك؟

ستيبان – ضوضاء وجلبة صماء .

المعهد العالي

داخلي – وخارجي

روضة اطفال – ابتدائي – ثانوي

برج ابي حيدر – بجانب المسجد – بيروت – لبنان

- يقبل الطلاب من لبنان ومختلف الاقطار العربية
- يطبق برامج الجامعة الاميركية في بيروت
- اساتذة اخصائيون ، مربيات لروضة الاطفال
- بدأ التدريس في اول تشرين الاول الماضي

المخابرة ص . ب ١٠٨٥

ترسل البيانات لمن يطلبها مجانا

في القدس .. عند المقبرة

في رأس كل سنة يسمح للعرب المقيمين تحت حكم اليهود ان يزوروا القدس ويقابلوا اقرباءهم الآتين من الاقطار العربية ليلة واحدة فقط ،ثم يعود كل منهم من حيث اتى...

من جبال « الناصرة »
خالتي تكتب ..
« في رأس السنة
نلتقي في القدس .. عند المقبرة
وستأتي من بنات الحي ليلى ووداد
وسهاد
وسيأتي معنا الراعي فؤاد
ليغني يوم لقيانا غدا
« مايله عالغصن يا ريم الفلا »
فتعالي يا عيوني انها .
ليلة من عمرنا الذاوي ولا
تحرمي عيني من طول البكا
فلقد صار البكا سلوتنا ...
وسأحكي لك عن عيشتنا
أخبري الاهل جميعاً اننا
نلتقي في القدس . . في رأس السنة »

وتلاقوا في بقايا المقبرة
في ظلال الشوك والصخر القديم
وتلاقت ذكريات النازحين
تتوارى
خلف آهات الحنين
وصراخ الناديين
وظلال الشوك والحائط والسور الحطيم
وسواد الليل عبر المقبرة
والعويل المر والشدو الحزين...
« انت يا ارض ملاذ البائسين
انت مأوانا ومثوى الخالدين
ارحمينا .. واحضنينا في اللحود
فزمان المجد ولى .. هل يعود ؟ !
اسألي الاحياء منا .. هل يعود ؟ ! »
ونداء الارض ..
« انا لن نلين

وسنبقى رغم ذل صامدين
نحن اقوى من نعيق الخائنين
نحن لن نفنى على مر السنين
دمنا يقسم ... إنا لن نلين ...

*

ومضي الليل ، نواح وانين
وبكاء خافت ، مضن ، حزين
وحكايات
عن الارض التي اضحت متاع الغاصبين ...
وتراتيل الشباب الحاقدين
ومع الشدو وآهات الدعاء
قطع الفجر لقاء الاقرباء
فضوا
في قلبهم رجع حداء ...
« يا رفاق الحي لن نسمى اللقاء
ملتقانا في جبال الناصرة ..

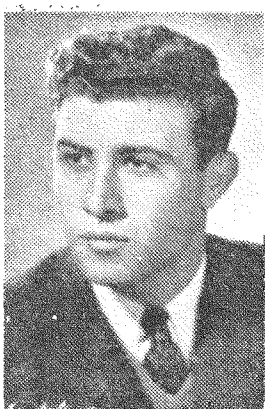

سمير صنبر

دورا – جلبة صماء . إيه يانك ! وبعدئذ ؟...
(يسكت ستيبان .) قلت لك ، وبعد ذاك ؟
(يظل ستيبان على صمته) تكلم انت يا ألكسي، قل لي وبعد ذاك ؟

فوانوف – صوب رهيب .

دورا – آه (ترتمي على الحائط .)
(يشيح ستيبان برأسه عنها . اننكوف يبكي من غير تعبير. تلتفت دورا وتنظر اليهم مستندة الى الحائط .)

دورا (بصوت شارد متغير) – لا تبكوا . لا ، لا ، لا تبكوا ! انكم لترون انه يوم التبرير ! في هذه الساعة بالذات ينبعث صوت غامض ، يشهد لنا نحن المتمردين : ان يانك لم يعد قاتلاً على الاطلاق . صوت رهيب ! لقد اكتفى بصوت رهيب ليعود الى فرح الاطفال وبراءتهم. أتذكرون ضحكته ؟ لقد كانّ يضحك دونما سبب احيانا. كم كان فتياً ! لا بد انه يضحك الآن، لا بد انه يضحك ووجهه ملتصق بالتراب !
(تمشي نحو اننكوف) اي بوريا ، انك اخي أليس كذلك ؟ ولقد قلت انك ستساعدني .

اننكوف – أجل يا دورا.

دورا – افعل هذا اذن من اجلي . اعطني القنبلة . (ينظر اليها اننكوف) نعم ، في المرة القادمة ، لا بد ان اقذفها بيدي . اريد ان اكون اول من يقذفها .

اننكوف – انت تعلمين تماماً ، اننا لسنا نرغب في النساء يتقدمن الصفوف الامامية .

دورا (تصرخ بعنف) – أما زلت امرأة في نظركم ؟

(ينظر اليها الجميع ويخيم الصمت .)

فوانوف (برقة) – اقبل يا بوريا .

ستيبان – اجل ، اقبل بما تطلبه دورا .

اننكوف – ولكنه دورك هذه المرة يا ستيبان ، وانت المكلف بالقائها .

ستيبان (ناظراً الى دورا) – اقبل ، فانها الآن لتشبهني .

دورا – ستعطينني اياها ، أليس كذلك ؟ وسأقذفها . وفيما بعد ، في ليل بارد حالك السواد ...

اننكوف – اي دورا .

دورا (تبكي) – ايه يانك ! في ليل بارد حالك السواد ، وذاك الحبل بالذات ! ان كل شيء يهون منذ الآن :

– ستار الختام –